جامعة جنوب الوادي

كلية التربية

الفرقة الأولى

أساسي دراسات

للعام الجامعى ٢٠٢٣-٢٠٢٤م

حضارة مصر القديمة

إعداد

دكتوره / صفاء عبد الرؤوف الشيخ

مقدمة

من المتفق عليه إطلاق مسمى وادي النيل على الأرض الواقعة على جانبي نهر النيل والممتدة من الدلتا في أقصى شمال مصر حتى ملتقى النيلين الأبيض والأزرق في الخرطوم بوسط السودان. وليس في هذا الوصف ما يمنع بطبيعة الحال من إضافة بقية أقاليم السودان جنوب الخرطوم لوادي النيل. تقسم مصر في المصادر التاريخية عادة إلى إقليمين هما، مصر العليا (الوجه القبلي) ومصر السفلى (الوجه البحري). تمتد الأولى من الشلال الأول حتى الأطراف الجنوبية للدلتا، حيث يجري نهر النيل شاقًا أرضًا صحراوية مكوناً شريطاً ضيقاً من الأرض الزراعية. أما مصر السفلى فتشمل منطقة الدلتا حيث يتفرع النهر إلى عدة أفرع تصب في البحر المتوسط وتكثر فيها البحيرات والمستنقعات. وعلى الرغم من التشابه الطبيعي بين هذين الإقليمين فإنهما أسهما في الحضارة المصرية بأدوار مختلفة تجمعت وتكاملت لتمنحها طابعها المتميز.

أَما السودان فيقسم بدوره إلى قسمين، النوبة السفلى، وتمتد من الشلال الأول إلى الشلال الثاني؛ والنوبة العليا التى تمتد من الشلال الثاني حتى الخرطوم جنوباً مع أن كثيرين يحصرون منطقة النوبة في الأرض الممتدة من الشلال الرابع شمالاً حتى الحدود المصرية السودانية. وفي بقية السودان من حدوده الجنوبية والشرقية حتى الخرطوم تجري الأنهر وأفرعها والمجاري والأودية الكبيرة، كما توجد بالسودان مساحات شاسعة بعيداً عن

مجرى النهر صالحة للزراعة والرعي قديمًا وحديثاً. لقد أتاحت الظروف الطبيعية بيئات متنوعة للبشر على مرّ العصور كان لها عظيم الأثر في المنتج الحضاري كما كان لها أثرها في مستويات الاتصال بين أقاليم قطري وادي النيل.

وسوف يتضح كذلك لاحقاً عند وصفنا لتطور حضارات العصور الحجرية. ومن جهة أخرى لا يكتمل الوصف الجغرافي لوادي النيل دون الإشارة إلى الصحارى التى تحف بوادي النيل، فقد أوضحت الدراسات الجيولوجية والآثارية المتصلة أهمية الصحراء، وبخاصة الجزء المتاخم من الصحراء الكبرى لنهر النيل، حيث تنتشر الآبار والعيون والمنخفضات والأودية الكبيرة التي تصب في النهر.

أما الصحراء نفسها فقد كانت هي أيضاً مأهولة بالسكان خلال معظم حقب العصور الحجرية، وهناك من الأدلة الآثارية ما يؤكد الاتصال والتنقل بين الصحراء ووادي النيل خاصة خلال فترات التقلب المناخي مما نتج عنه امتزاج وتتداخل بين الجماعات السكانية وثقافاتها الشئ الذى أثمر بدوره في إثراء المنجزات الثقافية في هذا الجزء من العالم القديم وعلى ضفتي النهر في مصر والسودان نشأت مدنية من أعظم مدنيات الشرق الأدنى القديم.

فالمدنية المصرية القديمة معروفة على نطاق واسع بعظمة منجزاتها في ميادين النظم السياسية، والإدارية، والعمارة، والفنون، والآداب، والمعتقدات، واللغات. وقد وصل إشعاع هذه المدنية العظيمة ليس فقط للأقاليم المجاورة وإنما امتد لآفاق بعيدة في الشرق والغرب. كذلك عرف جنوب الوادي في السودان مدنية عريقة تبدأ بظهور دولة المدينة في كرمة نحو

٢٠٠٠ ق. م. كأول مدينة في أفريقيا خارج مصر، وهى التي تلتها الحضارة الكوشية بعصريها النبتي والمروي اللذين امتزجت فيهما المؤثرات الحضارية المصرية مع المنجزات المحلية المتميزة.

ومما لا شك فيه أن مدنيات وادي النيل تلك قامت على تجارب حضارية تمتد لأعماق ما قبل التاريخ إذ لم تكن المنطقة بعيدة عن ما أنجزته مجموعات الصيادين الأوائل في أفريقيا والشرق الأدنى من ابتكارات وتحسين في صنع الأدوات والأسلحة ومختلف ضروب الفنون البدائية والتمكن من استغلال البيئة الطبيعية والتكيّف الناجح على الصعوبات الطبيعية. ويكتسب وادي النيل أهمية خاصة عند النظر في تطور أدوار العصور الحجرية وانتشار البشر من أفريقيا إلى خارجها. فأوائل البشر الذين انتقلوا من شرق أفريقيا منذ مئات الآلاف من السنين ومن بعدهم أقدم سلالات الإنسان الحديث قد سلكوا مجاري المياه القديمة، ونهر النيل فيما بعد إلى شمال أفريقيا وشرق المتوسط. وعندما ظهرت أقدم المدنيات والدولة المركزية كانت أصولها موجودة محليًا في مجتمعات العصر الحجري الحديث التى أنجزت مرحلة إنتاج القوت متمثلاً في الزراعة، وتربية الحيوان، وعمل الفخار، والصناعات الحرفية المختلفة، وبناء الإقامات المستقرة.

من هنا تكتسب دراسة العصور الحجرية في وادي النيل أهمية خاصة لسببين رئيسين: الأول هو موقعه في القارة الأفريقية وسطاً بين شرق أفريقيا أقدم مراكز البشر الأوائل وآسيا في الشرق، وشمال أفريقيا ومن ثم أوروبا في جهة الغرب ؛ والسبب الثاني طبيعة التطور الثقافي خلال فترة ما قبل التاريخ

في المنطقة نفسها الذى شكل القاعدة التي قامت عليها أقدم مدنيات الشرق الأدنى.

نستمد معرفتنا بعصور ما قبل التاريخ في وادي النيل من نتائج التنقيبات والمسوحات الأثرية التي بدأت في العقود الأولى من القرن الميلادي الماضي. وقد تعرفنا على وجود البشر في المنطقة من خلال الملتقطات السطحية التى انتبه إليها المستكشفون الذين زاروا المنطقة حيث قارنوها بما هو معروف من نوعها في أماكن أخرى من العالم. ومن المعلوم أن فترة ما قبل التاريخ لم تكن موضوعاً مهماً لدى الباحثين في ذلك الوقت إذ اكتسب وادي النيل أهميته التاريخية من اكتشاف آثار المدنية المصرية القديمة (الفرعونية). وكانت المكتشفات الثقافية لمحتويات الأهرام والمعابد والمدن من لقي رائعة، ونصوص اللغة المصرية القديمة، وفنون الحضارة المصرية القديمة التي لم تترك موضوعاتها الأكاديمية الشيقة مجالاً للدراسات في مجال ما قبل التاريخ.

فوق ذلك كانت مواقع ما قبل التاريخ الظاهرة قليلة في ذلك الوقت وساد اعتقاد بأن معظمها قد طمرته فيضانات النهر، أو، أنه لم يكن موجودًا في الأصل. وظن البعض من المهتمين بفترة ما قبل التاريخ أن وادي النيل لم يقم بدور مهم ولم يسهم في ثقافات تلك الفترة بل ظل متأخرًا وراكدًا ثقافياً ومهما كان من أمر تلك الآراء فقد بدأ الاهتمام بفترة ما قبل التاريخ وئيداً ففي السنوات الأولى من القرن الماضي وصف شوينغيرث وكورلي وستيرت أدوات حجرية وجدت في مواقع مختلفة من صحراء مصر وكذلك فعل الشئ نفسه بوفير – لاميني من خلال أعمال التنقيب في العباسية بالقرب من القاهرة. وتأتي بعد ذلك الأعمال المهمة التي قام بها كاتون- طومسون

وغاردنر خلال العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين في منطقة البداري ومن بعدها الفيوم حيث رصدا تعاقب طويل للعصور الحجرية وخاصة العصر الحجري الحديث وفترة ما قبل الأسر. كذلك فإن أعمالهما في واحة الخارجة (١٩٣٠-١٩٣٢) تمثل معلماً بارزاً في معرفتنا بفترة العصر الحجري القديم في وادي النيل. ومن الأعمال المهمة في أواسط مصر ما قام به فينارد واكتشافه لما سماه حضارة السبيل في كوم أمبو التي نسبها للعصر الحجري القديم الأعلى وقد حظيت منطقة النوبة في هذه المرحلة الأولى من الأبحاث بكثير من الاهتمام بسبب بناء خزان أسوان وتعليته حيث أجرى مسحان آثاريان مهمان (١٩٠٧-١٩١١ و١٩٢٩-١٩٣٩) ففي النوبة السودانية لم يرد شيء في نتائج هذه الدراسات عن العصر الحجري القديم. أما في النوبة المصرية فقد ذكر وجود صناعات حجرية منسوبة للأدوار المبكرة من فترة ما قبل التاريخ وجرى ربطها بفيضانات النهر القديمة التي تمثلها المصاطب الطميية على جانبي النهر.

وفي داخل السودان عمل أنطوني آركل لفترة طويلة باحثاً في آثار السودان مبدياً اهتماماً خاصاً بفترة ما قبل التاريخ حيث قام بمسوحات غير منتظمة في معظم أقاليم السودان جمع خلالها ملتقطات سطحية من أدوات العصر الحجري القديم. بعد ذلك نقب في موقع خور أبو عنجة الذى يحتوي على لقي مهمة من العصر الأشولي- أقدم مراحل ما قبل التاريخ في المنطقة- وقد نشر عنه كتيباً خاصاً بالعصر الحجري القديم في السودان ومن أبحاثه المهمة الأخرى التي كان لها الأثر الكبير في دراسات ما قبل التاريخ في السودان ووادي النيل عموماً ما قام به من تنقيبات في موقعي الخرطوم

المبكرة والشهيناب. وكان فيهما من اللقي ما يدل على وجود أقدم أدلة لبدايات الاستيطان وصنع الفخار وإنتاج القوت. وقد وضعت تلك الاكتشافات منطقة النيل الأوسط في خارطة أبحاث ما قبل التاريخ وجذبت انتباه العلماء الباحثين حيث وفدت فيما بعد العديد من الفرق العلمية لإجراء البحوث الميدانية فيها. كانت حملة إنقاذ آثار النوبة (١٩٦٥-١٩٥٩) نقطة تحول في تاريخ العمل الآثاري في وادي النيل، وبخاصة تلك الأبحاث المتعلقة بعصور ما قبل التاريخ. فعندما تقرر بناء السد العالي توجهت حكومتا مصر والسودان والأمم المتحدة بنداء عالمي للمساعدة في إنقاذ آثار المنطقة التى ستغمرها المياه، وقد وصلت بالفعل العشرات من البعثات أو الفرق العلمية لإجراء المسوحات والتنقيبات الآثرية الإنقاذية.

لم يكن ما قبل التاريخ في صدر اهتمام تلك الحملة في البداية ولكن نسبة لمجهودات بعض العلماء الأجانب والإداريين الوطنيين (ثابت حسن ثابت ونجم الدين محمد شريف- أركامانى) أوكل للبعثة الأمريكية المتحدة من جامعة دالس وجامعات أمريكية وأوروبية أخرى القيام بمهمة استكشاف وحصر مواقع ما قبل التاريخ ودراسة نماذج منها. لقد كانت نتائج أعمال هذه البعثة وغيرها من فرق علمية مثيرة وجديدة كشفت عن تسلسل لأدوار عصور ما قبل التاريخ توضح بجلاء خصوصية المنطقة وثراء حضارتها وتنوعها. وقد أوضحت الدراسة والمقارنات أن بعضها يرتبط بمثيلاتها في شمال أفريقيا والبعض الآخر يعكس تطوراً حضارياً محلياً. كذلك تأكد حيوية المنطقة خلال عصور ما قبل التاريخ وإسهامها مع غيرها في دفع تطور الحضارة الإنسانية. وقد رصدت البعثة الأمريكية أكثر من عشرين تقليداً في صناعة الأدوات

الحجرية المتميزة تم ترتيبها في جدول زمني بدءاً من العصر الأشولي حتى نهاية العصر الحجري الحديث ومرحلة فجر التاريخ. وقد أجرت البعثة أبحاثاً جيولوجية وبيئية وأخرى جيومورفولوجية لمعرفة تاريخ نهر النيل وذلك من أجل وضع حضارات العصور الحجرية في إطارها الطبيعي الذى تتوفر فيه الموارد الغذائية من حيوان ونبات. وقد اهتمت تلك الأبحاث الميدانية بتوزيع المواقع الأثرية جغرافياً للكشف عن أنماط الاستيطان البشري القديم وعلاقة نهر النيل بالصحراء[1]

عوامل قيام الحضارة المصرية القديمة.

١ ـ الموقع.

تقع مصر في أقصى الشمال الشرقي للقارة الإفريقية ، ويقع جزء منها وهو شبه جزيرة سيناء في الطرف الغربي من أسيا. وهي ذات شكل مربع تقريباً. وتبلغ مساحتها نحو (٣%) من مساحة القارة ، وبذلك احتلت مصر موقعاً ستراتيجياً مهماً كونها تقع على مفرق البحرين (الأبيض المتوسط والبحر الأحمر) ، وملتقى القارتين وشعوب من أسيا وإفريقيا وجنوب أوربا. أما حدودها فالبحر الأبيض المتوسط في الشمال ، وجنادل النيل والصحراء من الجنوب ، ومن

[1] ـ يوسف مختار الأمين: عصور ما قبل التاريخ في وادي النيل, أركامانى مجلة الآثار والأنثروبولوجيا الســـودانية.

الشرق والغرب الصحراوات وهي بذلك تعد بلاد مقفولة من كل الجوانب ما عدا فتحات.

تعتبر مصر واحة عند علماء الجغرافيا وقد أسهمت في تكوينها مجموعة من العوامل الطبيعية والنشاطات البشرية والمتمثلة بـ(المياه والأرض الصالحة للزراعة والمجهود البشري) وهذان العاملان متلازمان بصفة أساسية لقيام الحضارة ويعود الفضل في تكوينها إلى نهر النيل الذي أعطى لمصر المياه والأرض الصالحة للزراعة فأستغل الإنسان ذلك وحولها إلى واحة وبدوره أثر المحيط الجغرافي في الانسان . وسنبين تواجد هذه العوامل في مصر ثم نبين التأثير الذي أحدثته تلك العوامل في المجتمع المصري القديم.

٢ ـ نهر النيل

يعد نهر النيل المصدر الرئيسي للمياه في مصر ، وينبع من البحيرات الكبرى عند خط الاستواء وخاصة بحيرة (فكتوريا- نيانزا) التي تقع على ارتفاع (١٢٠٠) م ، ويبلغ طوله نحو (٦,٦٧١) كم ، واتجاهه العام من الجنوب الى الشمال ، ويكون بين منطقة بربرة واسوان خمس شلالات . وكان يصب في البحر المتوسط عن طريق سبعة فروع هي "الفرع البيلوزي ، الفرع التانيتي ، الفرع المنديزي ، الفرع الفاتنيتي ، الفرع السبينتي ، الفرع البلبيتي والفرع

الكانوبي، لكن هذه الفروع أختفى معظمها ولم يبق منها الا اثنان يصب أحدهما عند دمياط والاخر عند رشيد.

ويمتلك نهر النيل مصدراً لا ينقطع من المياه هي الامطار الاستوائية المستمرة طوال العام تقريباً ، ولكن هذه المياه القادمة من البحيرات الكبرى لا تصل بكميات وفيرة الى مصر بسبب عوامل التبخر في الاحواض السودانية للنيل . ويضاف الى كمية تلك المياه بعض الزيادات من المناطق الاستوائية او من اراضي الحبشة بفضل الامطار وبسبب ذلك الكم من المياه يحدث فيضان النيل.

يبدأ نهر النيل في الارتفاع في اوائل شهر (يونيه/حزيران) من كل عام حتى اذا جاء شهر (اغسطس/أب) فاض على جوانبه . فالنيل الابيض يرسل كمية كبيرة من المياه في هذا المجرى الذي يبلغ طوله حوالي(٧٠٠٠) كم ويمر بالخرطوم في اوائل شهر (ابريل/نيسان) وتصل الحدود المصرية عند الشلال الاول في اوائل يونيه وخلال هذه الفترة يكون لونه أخضر بسبب حمل المياه للحشائش والاعشاب من منطقة المستنقعات الاستوائية . وبعد شهر واحد أي في اوائل (يوليه/تموز) تصل الموجة الحمراء بسبب حملها للطمى المفتت من تربة الحبشة البركانية ، وخلال شهر آب يفيض النهر على جوانبه ويغطي الارض بالماء الذي سماه المصريون القدماء بـ (ماء الحياة) لذلك يعد فيضان النيل فيضاناً صيفياً. وهذا هام لبلد ذي مناخ

صحراوي حيث تبلغ درجة الحرارة أعلى مستواها بين شهري تموز وآب وتصبح الارض مغطاة بالمياه كبحيرة وتظهر فيها القرى العالية والمدن كجزر تربط بعضها بالبعض الاخر سدود وجسور عريضة.

ويستمر هذا الوضع مدة أربعة شهور في العام تعمل خلالها حرارة الشمس على الجفاف الكامل ويترك الارض غنية خصبة ثمانية شهور أخرى حيث يبدأ الفلاحون في بذر البذور ويجني محصولهم منتصف (فبراير/شباط) ، ثم يبذر المحصول الثاني ويجنى قبل مجيء الفيضان مباشرة، وفي بعض أجزاء الدلتا التي لا يغمرها الفيضان كان يزرع محصول ثالث. مستخدمين الوسائل البسيطة للإرواء الارض الزراعية بواسطة وسائل مختلفة لرفع المياه. ويصل نهر النيل الى أخفض مستوى له في الصيف نهاية شهر (مايس/أيار) ، وخلال هذا الفصل ترتفع الحرارة كثيراً وتجف التربة وتتشقق الارض ، وتموت الحشائش الضارة والتي تمتص خير الارض ولا تفيد شيئاً ويؤدي التشقق الى تفتح التربة ودخول غازات الهواء التي تجدد خصبها حتى اذا جاء الفيضان من جديد في آخر الصيف يعود فيغطي الأرض ويكسوها بطبقة من الطمى ثم ينحسر النهر ويأتي الإنسان ليزرع الأرض من جديد.

٣ ـ الأمطار

لا تسقط الإمطار على وادي النيل شأنه شأن الصحاري . إما ساحل الدلتا الممتد حتى جنوب القاهرة فتسقط عليه الأمطار في فصل الشتاء بصورة تكاد تكون منتظمة شأنها شأن الجهات الساحلية التي تقع على شاطئ البحر المتوسط.

٤ ـ الأرض

يصل النيل محملاً بالطمى المستخلص من الأراضي البركانية الموجودة في الحبشة العليا ، ويسير غرباً حيث تكون جداوله محملة بهشيم الأحجار الصخرية المتدفقة والمندفعة على جانبي التلال في فصل الأمطار وتتجمع في الفرعين الكبريين . النيل الأزرق وعطبره اللذان يصبان في النيل على مقربة من الخرطوم وبربرة فيمتلئ النهر في اواسط الصيف بكميات هائلة من الماء والطمى حتى تعجز شواطئه عن أحتوائها فتغمرها المياه ببطء ويستمر الوضع اشهر الى ان تنقص المياه تدريجياً فيترسب الطمى المحمول في الماء على الارض ، وبزوال الفيضان تنحسر المياه عن الاراضي فتظل مغطاة بطبقة رقيقة من الطمى الاسود (الغرين) المتكون من الاحجار المسحوقة القادم من جبال الحبشة والذي أضفى على مصر خصبها ، فتكونت بذلك تربة مصر وبلغ سمك رواسب الطمى في الوادي أبتداءً من الخرطوم حتى البحر ما بين عشرة أمتار واثني عشر متراً ، وفي هذا الطمى حفر النيل مجراه الحالي ولذلك سمى المصريون بلادهم (كمي) أي الارض

السوداء تمييزاً لها عن الأرض (الحمراء) الجرداء للصحاري المجاورة.

وهذا الطمى تكمله عناصر نباتية خصبة أخرى فتتكون ارض مصر الخصبة والتي تسمح بزراعة محصولين او ثلاثة سنوياً. وعليه جعل المصريون ذلك النهر معبوداً هو "حعبي"(*)فنظموا له الاناشيد والتراتيل والطقوس الدينية تكريماً له ، منها : "تحية لك يا حعبي ، الذي يخرج من الارض ، ويصل لكي يعطي الحياة لمصر ، انت الذي يخفي مصادره في الظلمات... (انت) الفيضان الذي ينساب على الارض الخضراء ... لكي يعطي الحياة الى جميع هؤلاء الظمأى ،وعندما ترتفع تشدو الارض (كلها) فرحاً" ثم يضيف النص : "ان النيل لو قبض يده لاصبحت الملايين في بؤس وشقاء ولمات الناس والآلهه ولجنت الحيوانات ولاصبح كل من على الارض في حزن شديد ، ولكنه اذا أتى لهم في صورة خنم (آله الخلق) لصاحت الارض فرحاً ولامتلأت البطون سروراً ولاهتزت الظهور ضحكاً ولنشطت الاسنان حركة".

(*) حعبي : يتخذ هذا المعبود صورة رجل ذو جسم ممتلئ له بطن كبير وثديان كبيران تنبثق المياه من حلمتيهما رمزاً للخصوبة والعطاء لأرض مصر وللناس . فيأتي النيل بالمياه التي تروي ظمأ الارض وظمأ الناس ، وتأتي بالطمى الذي يخصب الارض ويمنحها المزيد من القوة والقدرة على العطاء لنشر الخير في ربوع الوادي .

وخصص المصريون القدماء يوماً يحتفلون فيه بـ "وفاء النيل" ويقع في النصف الثاني من شهر آب.

وكانت تقسم الارض الزراعية الى مساحات مربعة تبعاً لنظام الري ، وبتطور نظم الحكم والادارة تكونت الاقاليم وهنالك قوائم بأسماء تلك الاقاليم تبين لنا القنوات التي كانت تروي الاراضي الزراعية ، وتقسيم الاقليم الاداري ، وطبيعة الأرض وحدودها ومساحتها بالذراع . ومن هذه الاقاليم ظهرت مدن كعواصم.

٥ ـ الإنسان

كان للإنسان المصري القديم دوراً كبيراً في التأقلم مع بيئته فعلى الرغم من وجود مصادر المياه الدائمة والمتمثلة بنهر النيل واستمرار فيضانه السنوي ،ووجود الارض الخصبة الصالحة للزراعة الا ان هذين العنصرين لن يكتملا دون جهود الانسان الجبارة في تهيئة الظروف الملائمة لخلق الحضارة.

انصبت جهود الانسان بالسيطرة على نهر النيل أثناء فيضانه العنيف لانه يجرف جوانبه ويزيل التربة وينقلها من جانب الى جانب ، فكان دوماً بحاجة الى ضبط وتنظيم للاستفادة من مياهه عن طريق حفر الترع وشق قنواتها وإقامة السدود العالية حول الحياض واقامة الجسور وحراستها أبان فصل الفيضان ، وهذا العمل يحتاج الى توحيد للجهود وتنظيمها في الوقت نفسه.

فضلاً عن اقامة القرى يستلزم بناءها على كومة كبيرة وعالية يتظافر السكان على جمعها من تراب الارض حتى لا يجرفها التيار ولا يتخللها الرشح وتكون فوق مستوى الماء مما ترتب عليه تركيز القرى في وحدات كبيرة تكون بمأمن من غائلة الفيضان . وكل تلك الجهود تحتاج الى جماعات تعمل كوحدة منظمة.

يقول سترابون (٦٣ ق.م - ٢٤م) ان القدماء كانوا يطلقون اسم مصر على الشريط الضيق من الارض الزراعية التي كونها النيل ورواها بمائه ، الذي يمتد من اسوان حتى البحر - أي الى وادي ودلتا - ويبدو انه منذ العصر الاغريقي صارت مصر تشمل من الناحية الجغرافية أربعة أقسام رئيسية هي : إقليم الوادي وإقليم الدلتا وإقليم الصحراء الغربية واقليم الصحراء الشرقية ثم شبه جزيرة سيناء.

الوادي :

لا يختلف وادي النيل عن شكله الحالي فهو عبارة عن خط مستطيل غالباً ومتعرج أحياناً ، يسير وسط هضبتين صخريتين تحفانه من الشرق والغرب . يمتد من أسوان جنوباً وينتهي شمالي مدينة القاهرة يبلغ بذلك طوله (٩٠٠)كم وعرضه يتراوح بين عشرة كيلومترات وعشرين كيلو مترا ولكنه يضيق في بعض الأماكن حتى يصبح في عرض المجرى المائي فقط.

أما امتداده فيتمثل بالمكان الواقع قرب مدينة أسوان (قديماً يسمى سين) والذي يجتاز النيل فيه آخر العقبات الجرانيتية في منطقة شلالات يبلغ طولها نحو الاثني عشر كيلومتراً الحد الجنوبي لمصر منذ أقدم العصور. حيث تقع جنوب مصر بلاد النوبه.

تتغير طبيعة الارض بعد الدخول في مدينة أسوان حيث تتخذ صورة جديدة ، فالوادي في بلاد النوبة لم يتجاوز عرضه ما بين ثلاثة وخمسة كيلومترات لكنه في مصر سرعان ما يتسع عرضه ليصل في بعض المواضع الى ما يقرب من خمسة والعشرين كيلومتراً ، والسبب في ذلك ان النيل ابتداءاً من ذلك الموضع وما يليه يشق طريقة في نوع أخر من الاحجار فبعد ان كانت احجار رملية في النوبة أصبحت جيرية والتي تكون على مقربة من جبل السلسلة، وهي تمتد على جانبي الوادي حتى تبلغ الدلتا فتحد مصر من الجانبين في مسافة تبلغ نحو السبعمائة والخمسين كيلومتراً . وعندما يصل النيل الى منطقة فروعه (الدلتا) يختفي الحجر الجيري ويحل مكانه تكوينات جيولوجية أحدث (من رواسب النيل).

يتبين لنا مما تقدم أن القسم الجنوبي من مصر ينحصر بأكمله بين جدران صخرية يتراوح ارتفاعها بين مائتي متر وبين ثلاثمائة فتصفي على المكان طابع خاص . وهذه الجبال الجيرية عبارة عن هضبة واسعة خالية من الماء تماماً تتخللها وديان صغيرة عدة ترتفع

قليلاً كما هو الحال بالقرب من الجانب الغربي لطيبة. وكان الوادي يحتوي على طبقات خشنة في القاع تعتبر بمثابة المصفاة التي تتشرب المياه وتجري بها تحت سطح الارض حتى تبلغ البحر ، اما الطبقة العليا من التربة فتتكون من مواد غرينية ناعمة وغير مسامية.

الدلتا :

ينتهي الوادي بما يشبه الرقم " سبعة " الذي هو عبارة عن مثلث مقلوب الشكل ، والتي تبدأ شمالي مدينة القاهرة بنحو (٣٠كم). ويبلغ طولها أكثر من مائة كيلومترً وعرضها حوالي (٧٠٠ كم).

والدلتا تسمية أغريقية لان شكلها يشبه حرف الدال باليونانية الدلتا (Δ) وظل هذا الاسم يطلق عليها الى الوقت الحاضر ، وهذا المثلث المقلوب رأسه عند القاهرة وقاعدته عند البحر تتكون من الاراضي المنخفضة ، ويبلغ طول قاعدته على شاطئ البحر المتوسط حوالي (٢٤٠كم) طولاً.

وينحدر سطحها من القاهرة الى البحر نحو (١٧كم) أي بمعدل متر واحد كل عشرة كيلومترات . واراضيها خصبة باستثناء الاجزاء الشمالية فهي لا تزال براري مالحة قليلة الخصب تكثر فيها البحيرات ويقل خصبها نوعاً على حدودها الشرقية والغربية لاختلاط تربتها برمال الصحراء . وكان أقليم الدلتا في العصور قبل التاريخية كثير الآجام والمستنقعات ويزخر بحيوانات الصيد والطيور المائية . اما البحيرات التي في شمال الدلتا فهي المنزلة والبرلس وأدكوو ومريوط ، وهذه البحيرات تمتد من الشرق الى الغرب.

وكانت الدلتا سهلة الاتصال بالعالم الخارجي عن طريق البر شرقاً وغرباً وعن طريق البحر شمالاً مما أضاف الى ثرائها المادي والثقافي . وبسبب موقعها الجغرافي كانت عرضة أكثر من ارض الصعيد للغزوات والوافدين الذين اندفعوا نحوها من جميع الجهات وخاصة في فترات الضعف السياسي والتفكك الاداري والذي ساهم في تنوع العناصر الجنسية لسكان الدلتا التي احتوت تلك الجماعات وصبغتهم بصبغتها المحلية قبل أن يمتد أثرها الى بقية البلاد.
ونشأت في الدلتا العديد من المدن التي اتخذت كعواصم قديمة منها بوتو (في الشمال) وسايس (صا الحجر) وتانيس (صان الحجر) ، وبررعمسيس (قنتير) الحالية.

الصحراوات :

تشكل الصحراوات جزءاً من الاراضي المصرية ، فالي الغرب من مصر تستمر الهضبة الجيرية بالامتداد في الرمال والتي تتكون منها الصحراء الغربية في سلسلة من التلال الرملية المتنقلة ، واخاديد هذه الهضبة تجري على بعد نحو المائة والخمسين كيلومتراً موازية للنيل تتمثل في الواحات التي ترويها عيون قوية أضفت عليها خصوبة عظيمة. كان عددها سبع واحات واضحت الان خمس فقط وهي: البحرية، والخارجة ، والداخلة ، والفرافرة ، وسيوة .

اما الصحراء التي تقع على الشاطئ الشرقي للنيل ويطلق عليها اسم الصحراء العربية فتشبه في شكلها الهضبة الجيرية لكن شكلها يتغير تماماً عند توغلنا في الداخل. يوجد فيها سلسلة من الجبال العالية من الحجر المحبب (الجرانيت) والرخام السماقي (البورفير) والصخور الاركية والنايس

والشست والكوارتزيت وغيرها من الأحجار المتبلورة ، ترتفع بقممها إلى ما يزيد عن الفي متر وتمتد على طول البحر الأحمر. ومع انه لا يوجد في هذه المناطق الجبلية مياه العيون بكثرة الا ان قربها من البحر يعطيها قدراً كبيراً من الرطوبة يجعل نباتات الصحراء تنمو في كل مكان حتى تتسع في بعض المواضع الى واحات صغيرة مليئة بالنباتات يكون فيها للحيوان وقطعان البدو غذاء ، كما يتخذها البعض لهم مستقراً ومحاطاً للرحال.

وتحتوي هذه الصحراء على آبار للماء يكون عددها أكثر من آبار الصحراء الغربية لكنها ابعد غوراً. وتعد شبه جزيرة سيناء جزءاً من الصحراء الشرقية يفصله عنها خليج السويس ، وهي عبارة عن مثلث قاعدته في الشمال تطل على البحر المتوسط وأعلى أجزائها في الجنوب حيث يتقابل خليجا السويس والعقبة.

اما الجزء الشمالي فيؤلف هضبة جيرية تنحدر تدريجياً نحو البحر الابيض المتوسط وتحوي ارض سيناء على العديد من المناجم منها وادي مغارة وسرابيط الخادم حيث جلب المصريون القدماء النحاس والملاخيت والفيروز والكثير من الصخور النارية والمتحولة وتكون أمطارها شتوية ، وتنتشر بها الكثبان الرملية التي تحجز في باطنها بعضاً من مياه المطر لذلك كان من السهل الحصول على المياه بحفر الآبار . ونظراً لغنى هذه المنطقة بمياهها الباطنية وآبارها فقد سلكها التجار والحجاج والمهاجرون والغزاة . وعليه عدت المعبر الوحيد بين غربي آسيا وشمالي أفريقيا وعن طريقها خرجت من مصر الغزوات الى اسيا وخرج بنو اسرائيل ودخل الهكسوس والاغريق والعرب والاتراك.

سبق ان أشرنا الى ان ارض مصر تنقسم الى قسمين جغرافيين متميزين يختلف أحدهما عن الاخر ،فالقسم الكبير (الدلتا) ارض غرينية تكونت بفعل الترسبات النهرية تتخللها الترع ، يتأثر مناخها بالبحر وتسقط فيها الامطار بانتظام في فصل الشتاء وهو القسم الشمالي من مصر ويسمى بـ مصر السلفى و(بالمصرية القديمة تو ـ محيت) . اما القسم الصغير (ارض الصعيد) ارض خصبة جداً ولكنها عبارة عن شقة ضيقة لا يزيد عرضها في جانبي النيل على (١٠) ميل وهو خالٍ من الامطار ، ويحد وادي النيل غرباً وشرقاً سلسلة تلال حجرية يتراوح علوها بين (٣٠٠) و(١٠٠٠) قدم وهو القسم الجنوبي من مصر ويسمى بمصر العليا و(بالمصرية القديمة توريس).

وانعكس هذا التقسيم على كثافة السكان في مصر . فالمنطقة الجنوبية تتميز بالكثافة العالية نظراً لضيق السهل الفيضي وتقطعه وضغط السكان على نقيض المنطقة الواقعة الى الشمال من اسيوط الحالية ، اما المناطق العريضة من السهل الفيضي فكانت مخلخلة السكان والعمران حتى العهود المسيحية ، ويعزى السبب في خلو هذه المناطق من السكان الى ان معظم المحلات تجنح للوقوع على النيل نفسه.

ولغرض تقليل عدد السكان في الاقاليم المزدحمة لجأ ملوك الدولة الحديثة الى اقطاع المحاربين والضباط والجنود الاجانب (المرتزقة) اراضي شاسعة في مناطق مختارة فنتج عن ذلك هجرة الى مناطق جديدة لغرض تطويرها واستصلاحها.

ولعب اختلاف مناخ هذين الجزئين دوراً خطيراً في تاريخ وحضارة مصر القديمة فبسبب جفاف وانعدام الرطوبة في القسم الجنوبي من مصر

حفظت لنا ارضه الكثير من الاثار التي خلفها المصريون القدماء ، في حين ان مناخ الدلتا الرطب قد أزال تقريباً معظم الاثار .

وهذان الجزاءان مختلفان في الناحية الدينية ومنفصلان احدهما عن الاخر من الوجهة السياسية، ولكل منهما لهجته الخاصة ، ولكل منهما عاصمة تقع عند أقصى كل منهما شمالاً او جنوباً ، وكان النيل أو احد فروعه يقسم كل عاصمة الى نصفين يعبد حورس في احدهما وتعبد في النصف الثاني الآلهة التي تحميها . فعاصمة الصعيد تسمى (نخب) وهي الكاب الحالية شمال ادفو بقليل ، تقع على الضفة الشرقية ويقابلها على الضفة الغربية (نخن) . اما في الشمال فكانت العاصمة في مدينة (دب) وتقع في شمال الدلتا جنوب البرلس (بوتو) وتعبد فيها الآلهة (واجيت) في شكل حية . اما القسم الثاني من العاصمة فكان في (بي) حيث كان يعبد الاله حورس. وقد ادمجتا معاً في مدينة واحدة أطلق عليها اسم "بوتو" وتسمى حالياً " تل الفراعين". وتعد الحية (اوتو) او واجيت سيدة الدلتا وحاميته ، اما الوجه القبلي فكانت حاميته وسيدته الآلهه (نخبت) وهي على شكل عقاب. وكان لكل منهما نباته الخاص يتخذه كشعار يميز كلاً من جزئي المملكة ، فشعار الوجه القبلي نباتاً لا يزال أمره غامضاً الى الان، ويشير رزقانه الا انه نوعاً من نبات الاسل الذي هو نبات دقيق الأغصان كالغاب. ونبات البردي هو شعار الوجه البحري.

ولم يقف الامر عند هذا الحد بل ان زهور هذه النباتات كانت تتخذ رموزاً للوجهين فمثلاً عندما مثلت الشعوب الاجنبية الاسيرة تحت نوافذ الملك فمن كان يسكن منهم في شمال مصر شد وثاقه بحبل ينتهي بزهر البردي في حين اتخذت الاوثقة التي تربط جيرانهم من شعوب الجنوب زهرة الوجه

القبلي. وميز ملوك الشمال أنفسهم بتاج أحمر بينما تميز ملوك الجنوب بتاج ابيض . لكن التشابه الوحيد بين المملكتين ان كلاهما أتخذ "حورس" الصقر المعبود الرئيسي في كل من المملكتين .

واستمر الصراع بين مملكة الشمال والجنوب الى ان تمكنت الاخيرة من توحيد البلاد من قبل أحد ملوكها ويدعى "العقرب" ، الذي حقق النصر على مملكة "بوتو" في الشمال واكمل خليفته " نعرمر" هذه المهمة وارتدى التاج المزدوج للشمال والجنوب مؤسساً لاول السلالات الحاكمة للقطر الموحد.

ولعب نهر النيل دوراً كبيراً في ربط الاراضي المصرية بعضها مع البعض الاخر . فبسبب جريانه من الجنوب أصبح تياره يندفع من الصعيد الى الدلتا دافعاً بذلك سفن الملاحة في ذلك الاتجاه ، وبسبب وجود عامل الرياح التي تجري في معظم ايام السنة من الشمال الى الجنوب استطاع الانسان ان يستغل قوة الرياح فظهر الشراع وانطلقت السفن من الدلتا نحو الصعيد مغالبة تيار النهر حتى في فصل الفيضان . فأصبح نهر النيل بذلك شرياناً للمواصلات والترابط بين سكان الوادي والدلتا في الجنوب والشمال لقرب المدن من مجرى النيل.

وكان سكان الدلتا يعيشون على التجارة مستفيدين من النيل وترعه ولهم شيء من الاستقلال القضائي والمالي. وبسبب شكل الامتداد الطويل الضيق لمصر ترك أثراً مضاداً في سكان الدلتا الذين لم يكن بمقدورهم الاتصال بسكان الوجه القبلي الا بعد رحلة طويلة شاقة . لذلك نجد ان المصريين جنحوا إلى الاستقلال وانفراد المدن عن بعضها . فكان لكل إقليم أو

ولاية الهه الرئيسي الخاص وتقاليده الخاصة ، وكنَّ سكان كل أقليم الكرة في أغلب الاحيان لجيرانهم . وعندما تضعف سلطة الحكومة المركزية تنقسم المملكة إلى ولايات أو أقاليم صغيرة .

وضمن هذين الجزئين كانت مصر مقسمة منذ القدم الى عدد من الاقاليم او المقاطعات، والمقاطعة بالمصرية القديمة تدعى "سبات" وهي كلمة مشتقة من الفعل "سب" بمعنى يقسم ، وعرفت أيام الاغريق بأسم " Nome " ، وسماها العرب الكورة او العمل. يبلغ عددها أثنين واربعين أقليماً ، منها أثنان وعشرون أقليماً في مصر العليا (الوجه القبلي) وعشرون أقليماً في مصر السفلى (الوجه البحري) ، وكان عدد مقاطعاتها غير ثابت ففي عهد الدولة الحديثة وخاصة في عهد الاسرة التاسعة عشرة بلغ عدد مقاطعات الوجه البحري ستة عشرة مقاطعة حسب ما جاء في قائمة الملك "سيتي الاول".

هذه الاقاليم لم تكن كبيرة المساحة بل هي عبارة عن دوائر أدارية يتكون كل منها من مدينة كبيرة بمثابة العاصمة وما يجاورها من ارض ترتبط بها اقتصادياً. وتختلف في مساحتها بحسب المنطقة التي تقوم فيها وظروفها الطبيعية ، ويلاحظ ان عواصم الاقاليم في المناطق ذات الكثافة السكانية لاسيما في الجنوب وفي شمال طيبة تكون اقرب من بعضها البعض وتتباعد بصورة منتظمة عن بعضها بأستثناء "قفط" التي تحكم مدخل وادي الحمامات مصدر الاحجار واحد الروابط الهامة الرئيسية مع البحر الاحمر ومناجم الذهب.

ويلاحظ أيضاً ان اقاليم الصعيد مرتبة من الجنوب الى الشمال وهي أكثر انتشاراً في الضفة الشرقية متمشية في ذلك مع اتساع الاراضي الزراعية ، كما تكثر وتتقارب في مصر الوسطى حين بلغ الوادي اقصى عرض له . وقد اعتبر منخفض الفيوم اقليماً قائماً بذاته . وتقل الاقاليم في الوجه البحري كلما أتجهنا شمالاً او غرباً . وتعرضت حدودها لكثير من التغيير بسبب اتساع الدلتا المتزايد يوماً بعد يوم ولتغير فروع النيل ، وهي تبدأ بأقليم منف الذي يتاخم جنوباً الاقليم الثاني والعشرين من أقليم الصعيد.

خريطة مصر القديمة

حضارة عصور ما قبل التاريخ:

هي العصور التي سبقت اكتشاف حروف الأبجديّة الأولى أو الكتابة، ويصعب علينا التعرّف على الملامح الكليّة لهذه العصور؛ بسبب عدم قدرة الإنسان على توثيق تلك الحقبة الزمنيّة لغياب الوسائل التي تمكنه من ذلك، فقد اقتصرت على الرسوم التعبيريّة أو التصويريّة التي كانت القبائل الأولى والشعوب القديمة تنقشها على جدران الكهوف التي تسكنها، أو على أحجار مدافن موتاهم، وما زال العلماء حتى اليوم يجوبون العالم بحثاً عن مزيدٍ من الدلائل حول حياة الإنسان في هذه العصور.

١ ـ حضارة دير تاسا:

وهي قرية صغيرة على الشاطئ الشرقي للنيل بمركز البداري بمحافظة أسيوط. حضارتها قامت حوالي٠٠ ٤٨ ق.م وكان الموتى يكفنون في جلود الحيوانات والحصيرة وكانوا يدفنون ناظرين تجاه الغرب ومن مميزات تلك الحضارة صناعة الفخار الأسود. ويعتقد أن هذه الحضارة طور من أطوار .

اهم ما يميز حضارة دير تاسا:

انهم كانوا يؤمنون بالبعث اي (الحياة الثانية بعد الموت في المعتقدات الفرعونية) وكان البداريون يدفنون موتاهم في الصحراء ورأس الميت في إتجاه الجنوب وينظر إلى الغربكما كانوا يلفون موتاهم بالحصير(قطعه منسوجه بطريقه معينه من النباتات الناعمة اليابسه)، ويدفنونهم مع حيواناتهم المحببة أو بعض التماثيل لحيوانات أو لنساء أو للطيور.

بعض نماذج حضارة دير تاسا:

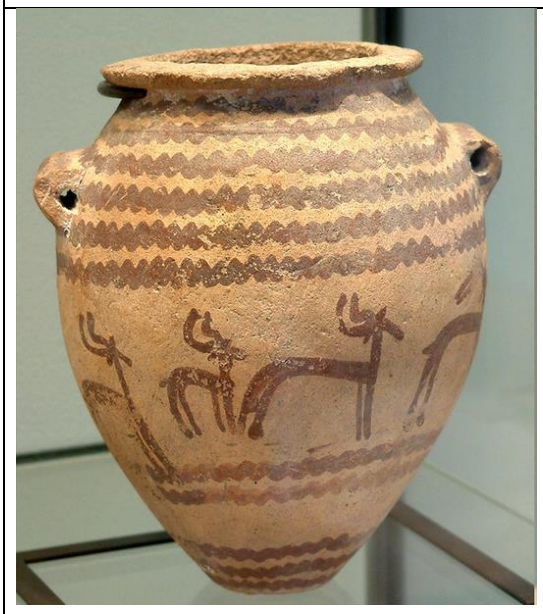

٢ ـ حضارة نقادة الأولى (حوالى ٤٥٠٠ حتى ٣٥٠٠ ق.م):

استمرت هذه الحضارة منذ حوالى عام ٤٥٠٠ قبل الميلاد إلى عام ٣٥٠٠ قبل الميلاد، تلت حضارة البدارى وإن رأى البعض بأنها قد سبقت حضارة البدارى فترة من الزمان وتفوقت عليها بعد ذلك واحتلت مكان الصدارة. نمت هذه الحضارة وتطورت فى المنطقة الواقعة بين الجندل الأول للنيل جنوباً إلى منطقة أسيوط شمالاً، وهناك من يقترح بأنها امتدت نحو الشمال حتى وصلت إلى مدينة الفيوم.

مساكن حضارة نقادة الأولى:

إن مساكن أهل تلك الحضارة كانت بسيطة ، إذ كانت المساكن تشيد من أغصان الأشجار والتى كانت تتم تكسيتها بالطين. ومقابر أهل حضارة نقادة الأولى إن أهل تلك الحضارة كانوا يدفنون موتاهم فى حفرة ذات شكل بيضاوى، وكانت هذه الحفرة قليلة العمق، ويتم دفن المتوفى فى وضع القرفصاء، وفى بعض الأحيان كان يُلف المتوفى بجلد الماعز.

٣ ـ حضارة نقادة الثانية (٣٦٥٠-٣٣٠٠ق.م)

تُعد حضارة نقادة الثانية أوسع انتشاراً وتقدماً من الحضارات السابقة لها , وقد وجدت اثار تدل عليها فى نقادة نفسها , وفى مواقع اخرى في الشمال (كرخان , جرزة , وابو صير الملق), وفى الجنوب (بلاد النوبة) , وادى السباع , عمدا , عنيبة) قادت نقادة الثانية الى وحدة البلاد بعد ذلك فى العصور التاريخية حيث نجد تعميقاً للصلات التجارية السابقة , وكذلك بعض المناوشات بين الشمال والجنوب وقد ظهرت في هذه الفترة أول ارهاصات

للرسوم الجدارية فى الكوم الاحمر قرب مدينة ادفو عام ٣٥٠٠ ق.م , وظهر الفخار الملون برسوم مراكب واشكال الانسان والحيوان والطير وقد مرت حضارة نقادة الثانية بثلاث بامتدادها من مصر الوسطى حتى الجندل الاول , وهى ترتبط حضارياً بحضارة "العمرة" (جنوب شرق العرابة المدفونة مركز البلينا محافظة سوهاج) حتى ان البعض يُطلق على حضارة نقادة الثانية اسم حضارة العمرة.

٤ ـ حضارة نقادة الثالثة (حوالى ٣٢٠٠ إلى ٣٠٠ قبل الميلاد)

تميز الحقبة الزمنية لفترة نقادة الثالثة بعدة مميزات منها ، تطور طريقة تجهيز الموتى وعلى الأخص أفراد الطبقة العليا إذ زادت عدد غرف المقبرة إلى غرفتين، وكانت توضح بهما جثة الشخص التى تم تحنيطها، كما كان يوضع معه العام والشراب والآثاث كما فعل أهل حضارتى نقادة الأولى والثانية. تم استخدام النحاس على أوسع نطاق له

كما تم إتقان الصناعات الفخارية بشكل كامل، وكان يتم زخرفتها بأشكال تمثل الإنسان والحيوان والنبات كما كانت القوارير تزين بأشكال القوارب وفى تلك الفترة الزمنية بدأت مدينة بوتو فى دلتاه مصر فى الظهور والنمو والتقدم. ومن الأشياء التى تسترعى الانتباه هو ظهور مبادئ الكتابات الهيروغليفية على الأواني والمنتجات الفخارية فى تلك الفترة، إذاناً

بانتهاء فترة طويلة من الإعداد والتحضير لحضارة عظيمة ستعود العالم القديم كله ويتمنى العالم كله لو أن يكون قطعة من أرض المحروسة.

وهذه نماذج لحضارة نقادة الثالثة

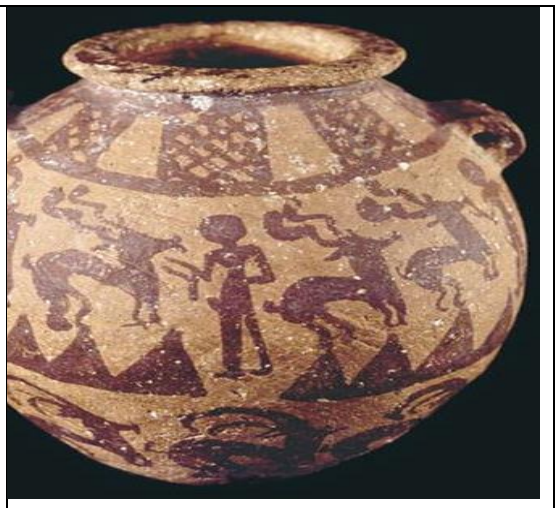

اللوحة تظهر احدى أهم الأنشطة الاقتصادية و الاجتماعية لعصر ماقبل الاسرات و يظهر بشكل جلي مدى طغيان تواجد العنصر الليبي القديم

٦ ـ حضارة البداري:

تبدأ هذه الحضارة حوالى ٤٠٠٠ ق.م وكان الموتى يدفنون معهم كثير من الأواني كما ظهر استخدام النحاس واستخدم أسره من الخشب. كان الرجال والنساء البداريون يحبون التزين فكان لديهم العقود والخواتم والأساور وأمشاط العاج وألوان من القماش المطرز والاكاليل لزينة الشعر وغير ذلك

نماذج من حضارة البدارى:

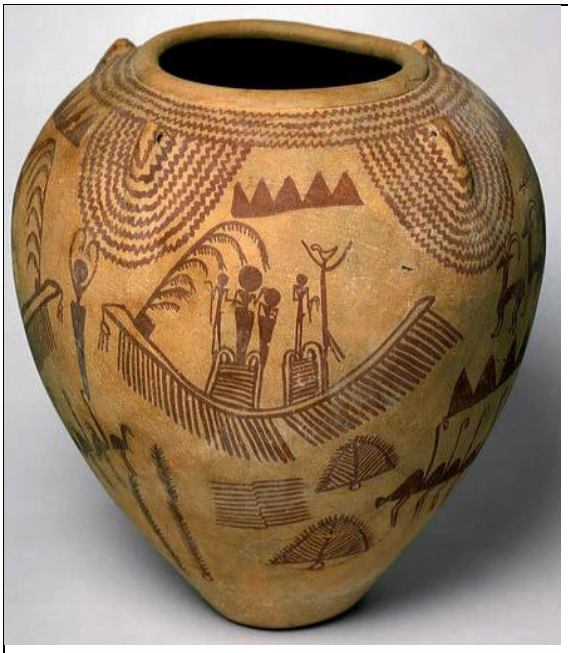

صلاية الليبيين جرة تقليدية استخدمتها شعوب النقادة في عصر ما قبل الأسرات.

7 ـ مرمدة بني سلامة

تقع على الحافة الغربية للدلتا شمال غرب مدينة القاهرة بنحو ٥٠ كم بالقرب من قرية "الخطاطبة"، وتتبع إدارياً مركز إمبابة محافظة الجيزة. ومن مميزات حضارتها أن موتاهم كانوا يدفنون ووجوههم متجهة نحو

الشرق حوالي عام ٤٤٠٠ ق.م وهذه الحضارة ليست معروفة كباقي الحضارات.

ويستدل من آثار "مرمدة بنى سلامة" على أن أهلها كانوا يرعون الماشية ، ويطحنون الغلال على الرحى، وأنهم صنعوا رؤوس سهام مثلثة الشكل كما عرفوا صناعة النسيج فنسجوا ملابسهم من الكتان، وتزيَّنوا ببعض الحلى على هيئة خواتم وأساور من العاج، وعقود من الخرز.

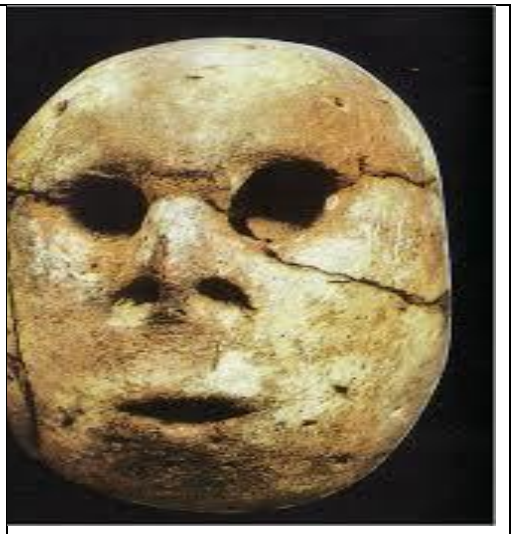

الموروث الحضاري لعصر التأسيس والتكوين:

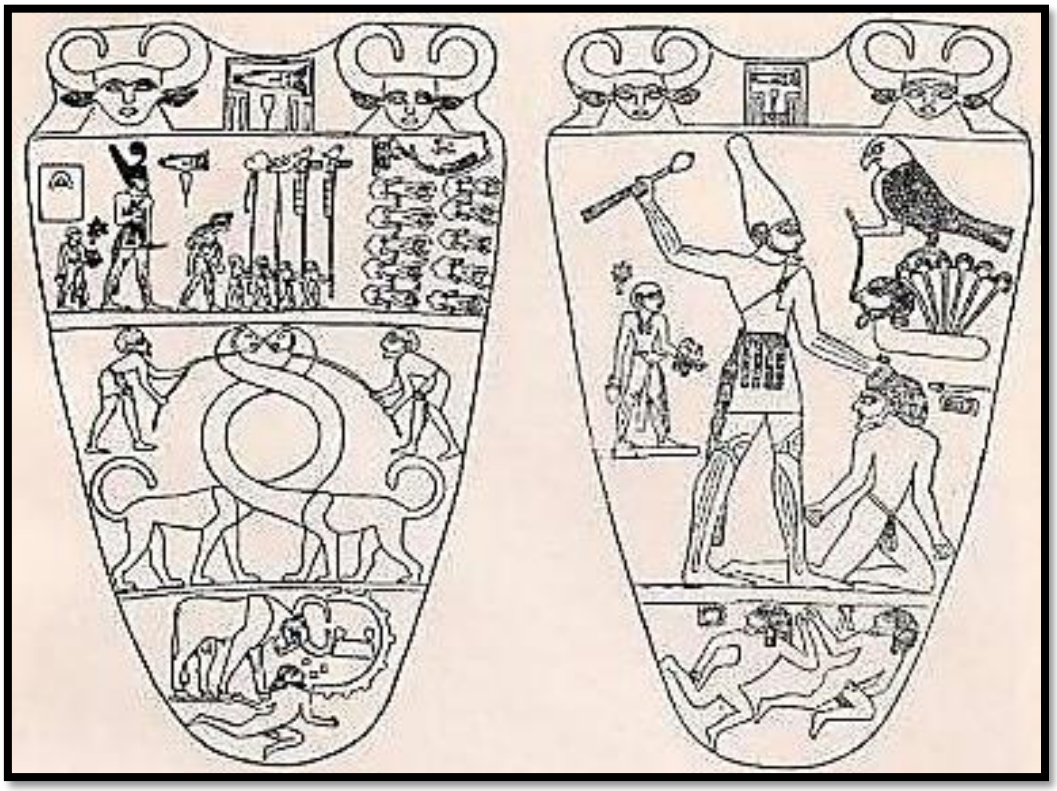

لوحة الملك نعرمر

الموروث الحضاري للدولة القديمة:

المصاطب:

لما كان المصريون القدماء يعتقدون في الحياة بعد الموت فقد أقيمت مبان لحفظ الجثة مع دفن كافة المتطلبات المعيشية معها. ففي الأسرة الأولى كانت المقابر صورة مشابهة لمسقط المنزل، بحيث تتكون من عدة غرف، ويوضع في الغرفة الرئيسية التابوت، وتوضع في بقية الغرف الاحتياجات

الأخرى للميت. كانت المقبرة عبارة عن مبنى بشكل مصطبة لها سقف من الخشب المحمول على أعمدة خشبية وأكتاف من الطوب، وغطيت بطبقة من مخلفات الحفر.

تطورت في الأسرة الثانية والثالثة فقد ظهرت المصاطب ذات المدخل، به درج يؤدي إلى غرفة الدفن يحيط بها مخازن وقد عملت غرفة الدفن عميقة في باطن الارض.

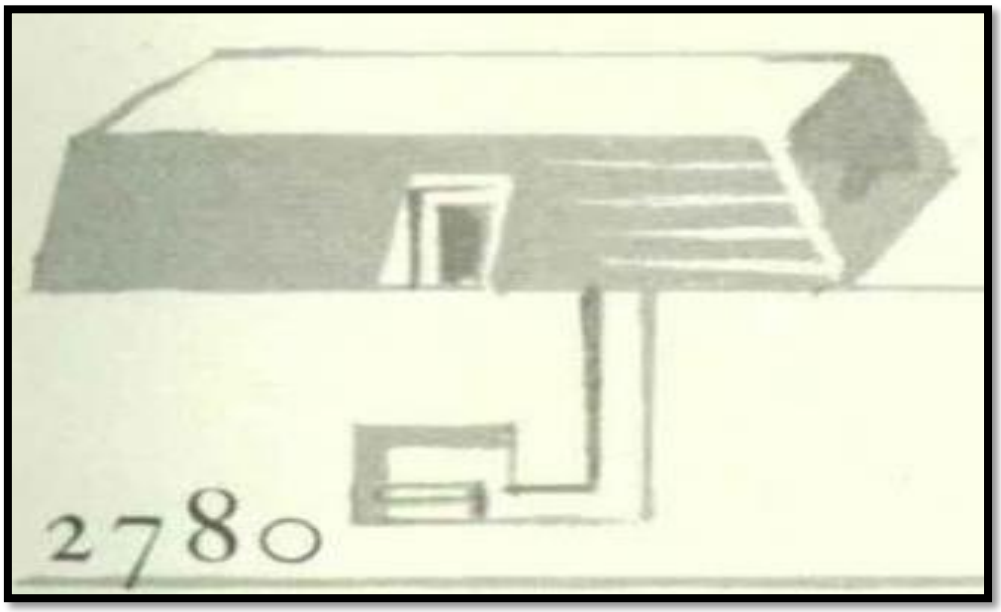

بداية المصطبة

الاهرامات :

بدأت فترة جديدة في تاريخ مصر تعرف بعصر بناة الأهرام، وتشمل الدولة القديمة التي تبدأ بالأسرة الفرعونية الثالثة.

لم ينشأ الشكل الهرمي دفعة واحدة ولم يكن ثمرة جهود فرد واحد وانما كان نتيجة ارتقاء بطيء في اتخاذ المقابر وتشيدها فكانت مقابر الملوك

في عصر الدولة القديمة على شكل مصطبة وقام زوسر بوضع فوق هذه المصطبة مصاطب أخرى وتكون الشكل الهرمي (الهرم المدرج) في سقارة واول هرم عرف هو هرم الملك (حوني) بدهشور اما الشكل الكامل للهرم فنجده بهرم سنفرو بدهشور ايضاً.

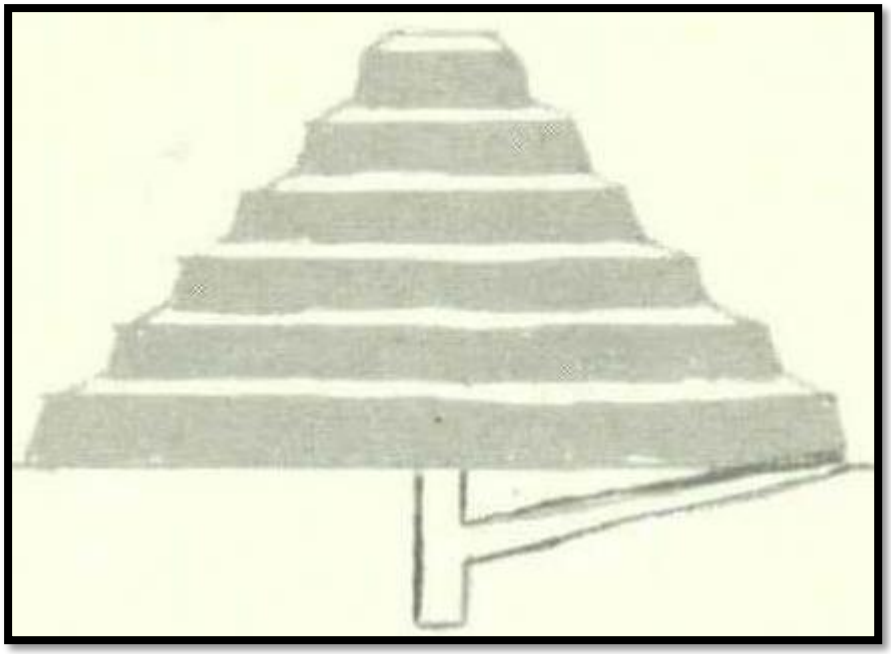

الهرم المدرج

وقد صمم "ايمحتب" الذى عينه الملك زوسر رئيساً للوزراء ثم اصبح بعد ذلك الهاً للطب ويتكون الشكل النهائي من ست دراجات ضحمة بارتفاع ٦٠ متراً وقاعدته مستطيله الشكل حوالى ١٠٩متراً من الشمال الى الجنوب , وضلع القاعدة من الشرق الى الغرب ١٢١ متراً والهرم لا يتكون من مصطبات منفصلة مركبة فوق بعضها كما يظن البعض , بل هو مجموعة اضافات متدرجة , ويمثل طرازاً جديداً , يبرز المقبرة الملكية احسن ما تكون فوق الهضبة الشاسعة.

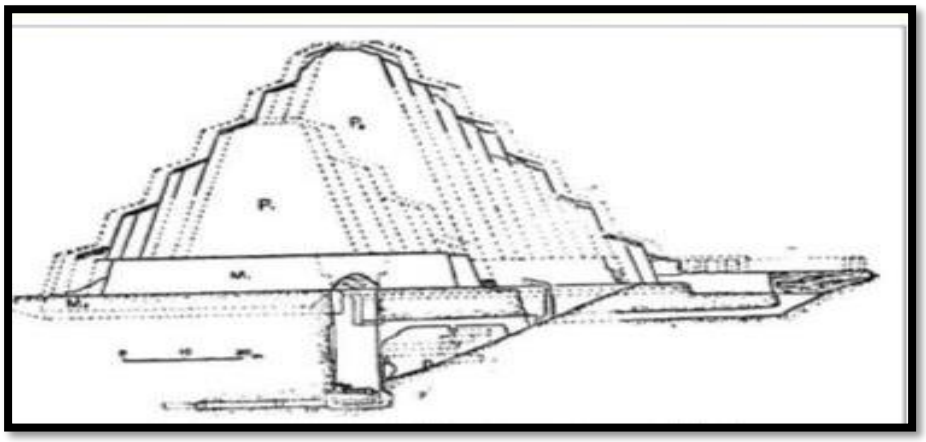

قطاع يوضح طريقة بناء الهرم المدرج

وان مدينة " اون" هيلوبولس اشتهرت بعبادة الشمس منذ العصور التاريخية الاولى وكان يوجد بقدس الاقداس بمعبد الشمس قطعة حجرية هرمية الشكل تعلو قاعدة ولاحظ الكهنة ان طائر الفينكس (هو طائر ابيض كبير له ريشتان خلف رأسه وانقرض الان) يحط في وقت خاص من السنة على هذه القطعة الهرمية رمزاً له واطلقوا عليها كلمة (بن بن) او بنيت ويعبر عنها الان كلمة هرمية أي بيت الهزيمة ومن هنا نبت عند الفراعنة فكرة بناء

مقابرهم على شكل هرم يدفن تحته الملك الذي هو رمز اله الشمس فيرعا بعنايته الأبدية.

الغرض من بناء الهرم :

ان الغرض من بناء الهرم هو لحفظ أجساد الموتى لان المصريين القدماء كانوا يؤمنون بالحياة الكونية والبعث بعد الموت غير انهم كانوا يعتقدون ان الأجساد اذا دفنت عذبت الارواح وقض عليها فكانوا لذلك يقومون بتحنيط أجسادهم ويودعونها في تلك القبور.

ويؤخذ من هذا ان الأهرام كانت مقابر لبعض ملوك مصر. ومع وضوح هذه المسألة التي لا ينقصها دليل فقد اعتقد بعض العلماء ، ومنهم جاب وجومار وتايلور والأستاذ سميث ان الهرم الأكبر ليس قبراً ملكياً وانما هو اثراً ذو قيمة

مترولوجية (مقاسية) عجيبة فقد بنى منذ أربعين قرناً " كمركز ضروري تحفظ في داخل بنائه أدوات مادية يعتمد عليها الناس على مدى الازمان وتعاقب الامم في مقاييس الطول والنقل والوزن والمقاومة ... الخ.

وقد وصف ولسن الأهرام بانها جبال صناعية أقامها المصريين لتغالب عوادي الزمن وهي بهذه الحالة ترمز الى شيئين فشكلها وطريقة بنائها التي ضمنت لها الخلود ضمنت حياة خالدة للملك الفاني الذي كان مدفونا فيها ومن ناحية أخرى فان المجهود العظيم الذي بذل في تشيدها واعداد المواد لبنائها كان تصميماً قوياً على ان خدمة الملك اهم واجب في الدولة ، فقد كان الهرم المسكن الأبدي للملك الإله فبذلوا في سبيله كل ما وسعهم من جهود ولم

يبخلوا بالوقت او مجهود الأفراد وقامت اهرام الملوك تتيه فخارا وعظمة ولم تسيطر على الدولة القديمة فقط بل مدت ظلها على جميع العصور.

اما الجهات التي بنيت فيها هذه الأهرام تقع من ابي رواش التي تقع على مسافة (٥ اميال) شمال الجيزة الى مروي في أعماق السودان بين الشلالين الخامس والسادس وعلى مسافة غير بعيدة من الخرطوم واشهر هذه الأهرامات واضخمها هرم خوفو وخفرع ومنقوروع وان هرم خوفو بني في عهد الملك خوفو – سوفيس كما جاء في تاريخ مانيثو ثاني ملوك الأسرة الرابعة والاسم المصري القديمة (اخت - خوفو) أي (افق خوفو) طول كل ضلع من اضلاعه الان (٧٤٦ قدما = ٢٢٧) متر اذ كان قبل ذلك قدما=٢٣٠متر) وارتفاعه العمودي الحالي (٤٥٠ قدما =١٣٧متر) وكان (٤٨١ قدما تقريبا =١٤٦ متر) اذ بني سنة ٢٩٠٠ ق.م.

وقد وصف بليني الأهرام (بان الهرم الأكبر بني باحجار قطعت من جبل العرب ويقال ان ٣٦٦٠٠٠ رجلا استخدموا في أقامته مدة ٢٠ سنة وان الأهرام الثلاثة استغرقت ٧٨ سنة واربعة اشهر.

واحتوى هذا الهرم (هرم خوفو) على مليونين وثلاثمائة الف قطعة حجرية تزن الواحدة منها ٢,٥٠ طنا وكسي من الخارج بكساء من الحجر الأبيض. وقد ظل هذا الهرم قرابة خمسة الاف سنة أعلى بناء على سطح الارض وكل ضلع من اضلاعه يواجه جهة من الجهات الاصلية الاربع في دقة بالغة ويعد بناؤه قمة الحضارة المصرية فانه شاهد صدق على مدى توفير الإدارة المصرية في تعبئة قدرات لبلاد الفنية والاقتصادية والإدارية لإنجاز هذا المشروع الرائع.

وكان الهرم يؤلف مركز الجباية الملكية لذا نجد في شرقة وغربة أهرامات صغيرة. خاصة بأعضاء الأسرة الحاكمة بينما تقع مصاطب عظماء رجال الدولة في الجنوب ليكونوا بصحبة الملك في العالم الاخر وفي خدمته كما كانوا في حياتهم الدنيا. وقد الحق بالهرم من الناحية الشرقية معبد جنائزي ، ينفتح على طريق يؤدي الى معبد ثان يعرف بمعبد الوادي.

اما بالنسبة لهرم (خفرع) فان مهندسي هذا الملك لم يصلوا الى ما وصل اليه زملاؤهم في عهد " خوفو" من إتقان ومهارة فهرم " خفرع " بسيط من الداخل مقارنة مع هرم خوفو الا ان احسن المجاميع المعمارية الملحقة بالاهرام هي المجاميع المحيطة بهرم " خفرع " بسبب وجود تمثال ابي الهول الذي بلغ ارتفاعه عشرين مترا وطوله ستة واربعين مترا وله وجه انسان وجسم اسد.

اما (منكاورع) فلم يستطع اتمام تشيد هرمه الصغير او معبده الجنائزي او معبد الوادي الخاص به بل أتمه ابنه (شيسكان) ومعبد الوادي مشيد من اللبن اذ لم يشيد به شيء من الحجر الأبيض الارضيات والأعمدة وعتبات الحجرات والتماثيل المصنوعة من حجر الشست التي تمثل كل منها الملك (منكاورع) مع رمز لإقليم من الاقاليم واحد من المعبودات الهامة.

وشهد الهرم في عهد الأسرة الخامسة تطورا كبيرا اذ اصبح لمعبد الهرم دهليز مسقف طويل يبلغ طوله ٤٠٠ متر يؤدي الى هضبة حيث يقوم المعبد الذي يكون في مقدمته ردهة للاحتفالات ويمتد خلف الردهة فناء واسع ذو اساطين ومن الفناء يستطيع المتعبدون رؤية تماثيل الملك اذا فتحت

الأبواب والزخارف المنقوشة في بهو الاساطين وفي الجزء الأمامي من المعبد تتعلق بأعمال الملك وحياته.

وفي أواخر عهد الاسرة الخامسة كثرت الكتابات والزخارف على جدران غرف الدفن والدهاليز وسميت تلك الكتابات بنصوص الأهرام وكانت تشمل معلومات عن اقدم ديانة للمصريين. واستخرجوا النقوش في عصر الأسرة السادسة فقد اقام "بيبي الاول" هرمه في سقارة ، وقد ازدانت جدران حجراته الداخلية بالنصوص السحرية من التعاويذ والرقي. وفي النصف الاخير من الأسرة الخامسة وفي الأسرة السادسة هبط مستوى فن النحت هبوطا محسوسا ولنكنهم أنتجوا في هذا الفترة بضعة امثله تسر النفس من بينها ذلك التمثال المصنوع من المرمر للملك بيبي الثاني وهو طفل.

معابد الأَهرام :

وتنقسم الى قسمين هما :-

- المعبد الجنائزي :

وهو المعبد المتصل بالهرم ، وهو خاص بالكهنة وأقارب الملك المتوفى وأهم أقسامه هي: الحجرة الرئيسة التي يوضع بها الشاهد ، ويستخدم هذا المعبد لعبادة الفرعون ، وإقامة الشعائر الخاصة بذلك ، ويعد هذا المعبد المعبد الرئيس . فهو معبد مهيب وفخم ، مزين بالمنحوتات والنقوش ابتداءاً بالأسرة الخامسة ؛ لأن معابد الأسرتين الثالثة ، والرابعة كانت خالية من النقوش والصور.

ويحتوي هذا المعبد صنوفاً من الأعمدة المزخرفة البديعة ، فقد شيد لعبادة الملك بعد مماته ، وتقديم ما يحتاجه من القرابين . فيما حفرت في هذا المعبد حفرتان كبيرتان في الأرض الحجرية إضافة الى حفرة اخرى قرب المعبد على هيئة سفن . إذ اعتقد قدماء المصريين بأن الفرعون المتوفى يستعملها في سفراته في العالم الثاني خلال مرافقته للإله الشمس في رحلته اليومية في السماء فضلاً عن حاجة الملك المتوفى لهذه السفن في حجه الى مقام "اوزيريس" في أبي صير.

ومن نماذج هذا النوع من المعابد ، المعبد الجنائزي لهرم " خفرع " الذي كان مدخله ذو الممر المتعرج الممتد بينه وبين معبد الوادي يحول دون رؤية قدس الأقداس للقادم من هذا المدخل الشرقي ، وفي المعبد غرفة للبواب وبعض الغرف للمخازن وإنَّ لهذا المعبد بهوان مختلفا المساحة ، يصل بينهما سرداب يؤدي الى الساحة الفسيحة المكشوفة أمام الهرم. وله أيضاً ممر ذو ثمانية أبواب نقشت عليها بالهيروغليفية الملونة بالأخضر والأزرق . ويؤدي هذا الممر إلى خمس غرف صغيرة مرتفعة ، تحوي كلٌ منها تمثالاً للملك ، تكتنفها مجموعة أُخرى من الغرف ، وفي مقابل الحائط الغربي يقع قدس الأقداس الذي كان فيه كوة غير نافذة بها باب وهمي ، وشاهد حجري وللمعبد في زاويته الجنوبية الغربية مدخل ثانٍ خاص بالزوار القادمين إلى المعبد بغير طريق الوادي من جهة الصحراء.

اما أهم المعابد الجنائزية في الدولة الوسطى فهو معبد " منتحتب الثاني " الذي بني بالقرب من هرم مقبرة الملك، وهو : عبارة عن ساحة فسيحة يمتد منها منحدر ينتهي إلى شرفة تحمل بناءاً مربعاً يتقدمه بهو غير

مسقوف ذو صفين من الدعائم ، فيما يتواجد فوق الشرفة السفلى بناء أخر متراجع يضم ردهة داخلية ذات أعمدة على ثلاثة من جوانبها . وفي داخل البناء يمتد دهليز يحاذي الحائط الخارجي من ثلاثة جوانب وتضم ثلاثة صفوف من الأعمدة ، اما الجانب الرابع فليس فيه سوى صفين فقط كما توجد كتلة من البناء فوق البناء الثاني تشكل قاعدة الهرم ، تقع خلفها فتحة تنزل الى الصخر ، يليها دهليز طويل كسيت جدرانه بالحجر الرملي الارجواني ، وفي نهايته حجرة الدفن الكرانيتية ، وفي وسطها تابوت من المرمر أمّا تمثال الملك فموجود في هيكل مقطوع في الصخر.

فيما أقام ملوك الدولة الحديثة معابدهم الجنائزية على حافة الهضبة غربي طيبة اذ كانت تقع في صف طويل يمتد من الشمال إلى الجنوب، ويفصلها عن المقابر الملكية الجبل المطل على الوادي ويعد معبد " امنحوتب الأول " أقدمها ، ويلاحظ على معابد ملوك الأسرة الثامنة عشرة أنها قد بنيت الى جانب بعضها البعض . فيما امتدت في عهد ملوك الأسرة التاسعة عشرة من الشمال الى الجنوب بين المعابد القديمة.

ومن الجدير بالذكر أنَّ هذه المقابر الجنائزية كانت تشبه إلى حد كبير معابد الآلهة؛ لأن الملوك كانوا يؤلهون بعد مماتهم فضلاً عن تأليه بعضهم لنفسه في حياته . إلاَّ أنَّ ذلك لم يمنع عدم تخصيص العبادة في المعابد الجنائزية للملوك فقط ، بل تعدتها إلى عبادة الإله الرسمي للدولة ، وبعض الآلهة الرئيسة الأخرى مثل "رع حور ختى ، واوزيريس".

ومن أهم تلك المعابد : معبد الدير البحري الذي يقع في كنف جبل سامق وقد بني على تلاله مسطحات عظيمة ، يعلو كل منها الآخر ، وينتهي

كل منها برواقين بينهما طريق صاعد يؤدي الى المسطح التالي. وقد وصفته " حتشبسوت " بإنَّه " فردوس آمون ". أما معبد " تحوتمس الثالث " الجنائزي فقد بني الى الشمال من الرمسيوم ، وبني معبد " تحوتمس الرابع " جنوبه فيما يعد معبد " امنحوتب الثالث " من أعظم المعابد الجنائزية وأضخمها ، أما معبد " رمسيس الثالث " في مدينة " هابو " فهو يعد أفضل المعابد الجنائزية التي شيدها ملوك الدولة الحديثة.

ـ معبد الوادي

وهو معبد خاص بالشعب ، جرت العادة أَن يتألف من قاعة كبيرة ، محاطة بممرات، تتوزع في حجراته المفتوحة تماثيل الملك المتوفى الضخمة والنفيسة.

ولما كان المعبد الجنائزي ، ومعبد الوادي بعيدين عن المدينة الملكية الواقعة في الوادي إلى الشرق من الهرم فإنهم وصلوا بين الإثنين بطريق مسقوف طويل ينحدر من المعبد الجنائزي الى معبد الوادي وهو طريق طويل من الحجارة المنحوتة بمنحوتات مختلفة.

واحتوت معابد الوادي على بهو ذا أعمدة جميلة ، وقاعة للحفلات التي كانت تقام أمام السرداب الخاص بتمثال الملك؛ كي تطيب نفسه بالإشتراك في الحفلات، لاسيما في قاعة الاحتفال باليوبيل الملكي ، أي ذكرى تتويجه يضاف الى ذلك وجود معابد صغيرة أخرى للصلاة.

ومن نماذج هذه المعابد معبد الوادي للملك " خفرع " الذي كانت واجهته تشبه في بنائها المصطبة ، وأمامها تمثال فرعون ، وعلى جانبي المدخل يمر بدهليز يوصل الى ردهة بشكل حرف T طولها أربعة وعشرون

متر مسقفة بست عشر عمود مربع من الكرانيت الوردي بارتفاع خمسة امتار. وتضاء الردهة من فتحات مستطيلة منحرفة في السقف ، أو على الجدران ، وليس في الردهة أو الدهليز أيَّ نقوش ، أو صور ، وكذلك الأمر مع الجدران فقد أراد المصريون القدماء ان يتناسب ذلك مع الفلسفة الدينية للمملكة في الدولة القديمة التي قالت: " بأن حق الملك المقدس يرقى به الى مركز الألوهية بعد موته، فهو إله في الآخرة كما كان في الدنيا " إذن فلا حاجة لتلك النقوش السحرية لتحميه في الحياة الآخرة.

ويوجد أمام الحائط ثلاثة وعشرون تمثال للملك "خفرع" ، وهو جالس موزعة على أنحاء المعبد ، وقد ظهرت على ملامحه سيماء الجلال ، والملك ، والقوة ، كما يظهر الملك "خفرع" جالساً ايضاً على عرشه ، ووقف خلفه الإله "حور".

وفي الزاوية الغربية توجد مخازن المعبد . اما في الشمالية الغربية فتوجد غرفة البواب يقابلها طريق مائل يؤدي الى سطح المعبد الذي بنيت أرضيته وحوائطه من المرمر . أما داخله فمن الحجر الجيري ، فيما كسي خارجه وأعمدته وعوارضه وكل الظاهر منه من أسفل بصخور الكرانيت الأحمر أو المرمر ، وللمعبد أيضاً في جانبه الغربي منزلق طويل مرصوف بحجارة جيرية ضخمة ، مسور ومسقوف ، مضاء بفتحات صغيرة , أما في عهد الدولة الوسطى فقد لوحظ الاحتفاظ بالممر بين المعبدين ، وتماثيل الملك الإله لاسيما "اوزيريس" .

ـ المعابد المصرية خارج مصر

وهي معابد مصرية بنيت خارج مصر ، لاسيما في بلاد النوبة (جنوب مصر) التي روعي فيها أن تكون أماكن حصينة ، وأن تنحت بأكملها في الصخر مثل معابد أبو سمبل، أو أن يبنى الجزء الأمامي منها ، ثم تنحت بقية المعبد في الصخر مثل معابد " بيت الوالي"، وجرف حسين ، والسبوع ، والدر.

ولم تختلف هذه المعابد في تخطيطها العام عما هو مألوف من معابد في الدولة الحديثة الأخرى إلاَّ في بعض التفاصيل الداخلية قليلة الأهمية ، فجميع المعابد المصرية من غير استثناء صممت على خط مستقيم ، أي أنَّ مدخلها ، واقدس مكان في نهايتها (قدس الاقداس) يكون على محور واحد ، وتتماثل الاجزاء المتقابلة على جانبي المحور بشكل تام.

الاحتفالات ، والأعياد الدينية

هنالك العديد من الاحتفالات ، والأعياد الدينية في مصر القديمة التي تعد من أكثر الأمم القديمة تديناً. على الرغم من كون الديانة التي آمن بها قدماء المصريين ، هي : ديانة بدائية قائمة على السحر ، والأساطير ، والتقديس المبالغ به , وعلى الرغم من كون جميع الاحتفالات والأعياد المصرية القديمة دينية في طبيعتها فإنّ القليل منها فقط هو ما يتميز بالوقار والمهابة سواءاً ما كان منها متصلاً بالأحياء ، أم بالأموات.

ويمكن تقسيم تلك الاحتفالات والأعياد على وفق التقسيم الآتي :

ـ أعياد الآلهة ، والاحتفال بها .

لقد كانت أعياد الآلهة مرتبطة بموسم ، أو بتاريخ السنة الدينية . فهنالك عيد " تجلي مين " ، وهو إله الخصوبة. ويسمى " بعيد الضحية " . ويحتفل به في الشهر الأول من فصل "شمو" عندما يبدأ حصاد القمح. ويتم الاحتفال بهذا العيد في كل معابد الإله " مين " في مصر .

أما موكب الاحتفال فيتكون من مجموعة من الكهنة الذين يحملون تمثال " مين " على أكتافهم ، وقد ارتدوا جلابيب مزدانة بأسماء الملك ، مع حرصهم على عدم ظهور شئ من أجسادهم إلاّ رؤوسهم وأقدامهم ، تتبعهم مجموعة صغيرة أخرى من الكهنة ، تحمل لفائف "الخس" ، وهو : النبات المقدس للإله "مين" مع وجود نور أبيض يمثل تجسيداً للإله. أما الملك فيخرج من قصره محمولاً على محفة إلى مقر والده الإله "مين" على ظهر اثنى عشر رجلاً ، من أبناءه ، وكبار موظفي الدولة فيما يمشي في مقدمة الموكب عدد اخر من أبناء الملك ، والرجال البارزين في الدولة يحملون الشعارات الملكية كالصولجان والسوط. أثناء ذلك تبدأ واجبات الكهان التي كان من أبرزها إحراق البخور. كما يشترك في الموكب عدد من رجال الجيش وخدم البلاط .

وحينما يصل الموكب إلى المعبد، ينزل الملك ؛ ليدخل المعبد ، ويقف أمام تمثال الإله؛ ليباشر طقوس العبادة من تبخير ، وتطهير ، وتقديم للقرابين. يتبع ذلك فتح غرفة الإله؛ ليراه الناس وهو يلبس غطاءاً مخروطياً ذا ريشتين ، وشريطاً يتدلى إلى الأرض ، وله لحية مستعارة ، وحلية تتدلى من الرقبة ، فيما يبقى وجه الاله مخفياً بحجاب يسدل عليه يحول دون رؤيته.

اثناء ذلك يتواجد الكهان في المقدمة ، والمؤخرة ، والجوانب ، وهم : يحملون ما يتصل بطقوس الإله . فيما يتولى كاهن حليق الرأس ، عارياً في نصفه الأعلى حرق البخور أمام الملك ، والثور ، وتمثال الإله ، يلي أولئك مجموعة تحمل القرابين ، وأُخرى تحمل تماثيل الملك وأصدقاءه وعلامات أو رموز الآلهة على ساريات.

ويستمر الموكب في سيره حتى يصل قدس الأقداس حيث يقدم الملك القرابين مرة أخرى ، وتوضع تماثيل الآلهة على الارض ، ويلتف المحتفلون حول الملكة ، والملك ، الذي يقدم له منجل ، وحزمة من الغلال ، فيقطع السنابل من أعلى الساق ، فينشد أحد الكهنة نشيداً للإله المقيم في الحقول ، وتقدم حزمة أخرى من سنابل القمح إلى الملك ، فيحتفظ بواحدة منها، ثم ينشد الكهنة الأناشيد وبذلك ينتهي الحفل ويعاد تمثال الإله الى تابوته ، وتذبح القرابين بأمر الملك مرة ثالثة ، فيشكره الإله ، ويعود الملك الى مقره بعد أن تم تمجيد خصوبة البلاد في عهد ملك زاهد وتزدهر ـ نتيجة ذلك الاحتفال – في أيامه الحياة ، وتكثر الخيرات.

وهنالك عيد الآلهة " باستت " آلهة بوبسطة ، التي كان الناس يتقاطرون في عيدها رجالاً ونساءاً إلى مدينتها بوبسطة من أقاصي البلاد بزوارقهم . فهو عيد يمرح فيه الوافدون، ويلعبون ، ويلهون طوال طريقهم إلى المدينة ، وتصدح فيها النساء بالغناء والموسيقى اذ يضربن الدفوف . فيما يعزف الرجال بالمزامير ويغنون.

وقد تنزل جماعة من المحتفلين بقرية من القرى ؛ للهو واللعب ، وما أن يصلوا إلى "بوبسطة" حتى يقربوا القرابين . وكان الكهان يطلقون

التسابيح والأشعار للآلهة ومنها تسبيحة للإله "آمون – رع" ، " يا الهي يا رب كل الآلهة يا آمون رع .. أمدد إلي يدك ونجنـــي..

أشرق لأجلي كالشمس .. اجبني ثانية انت الإله الأحد الذي لا شبيه له .. أنت الشمس التي تشرق في السماء .. ".

وهنالك أعياد الإله " أبيدوس " التي كان يراد بها تخليد فتح " أوزيريس " للبلاد في العيد الأول . وكان العيد الثاني عيد الخروج الأكبر ، الذي كان يأتي بعد العيد الرئيس لتخليد مقتل الإله والحداد عليه . أما عيد يوم العراك فهو احتفال بهزيمة أعداء أوزيريس.

أما عيد الآلهة " ايزيس " فكان يحتفل به في مدينة " أوزيريس " التي يوجد فيها أكبر معبد لهذه الآلهة ، وتقع هذه المدينة في وسط الدلتا.

ولما كانت الآلهة في صميم تغيرات السنة فإنّ الأعياد كانت على اتصال بالمواسم والفصول ومنها " عيد استقبال السنة الجديدة " ، أي : " بداية الأزل ، ونهاية الزمن الأبدي ، " وهو : عيد كثير البهجة والفرح . فكانت السنة تنقسم إلى اثنى عشر شهراً ، وإلى ثلاثة فصول ، هي الفيضان (فيضان النيل) ، والبروز (بروز الحقول) ، والجفاف. وهو العيد ذاته الذي يطلق عليه عيد الآلهة " سوبديت " الذي يحتفل به في أرجاء البلاد . وفي معبد " اوب واوات " تتبادل الهدايا بين الناس ، أو يقدم رجال البلاط الهدايا للملك ، فيما تعمر موائد الإله وتتكدس بكل ما لذ وطاب ، فالنيل لدى المصريين القدماء إله ، ولكن بشكل غامض ، لأنه انبثق احياناً من الإله "نون" الذي يمثل الحياة المائية، وأخرى من " أوزيريس" ، أو حتى "

آمون " حتى أن الدلائل تشير الى تقديم الضحايا البشرية للنيل ، لضمان فيضان جديد.

وعلى قدر تعلق الأمر بالفصول ، فإنّ هنالك أعياد كثيرة على امتداد السنة مما لا حصر لها ، لاسيما في فصل " أخيت " إذ تتوقف الأعمال الزراعية . وهنالك عيد " تيخى " وتعني هذه الكلمة " السكر " وكان يحتفل بهذا العيد في اليوم الأول من الشهر الثاني ، وكان من الأعياد المحبوبة التي لا يتخلى عنها.

أما أكثر الأعياد الإلهية جمالاً فهو عيد " أوبت " الذي يعد احتفالاً بالاله" آمون " وفيه يقوم الإله " آمون " و " موت " و " خنسو " بزيارة معبده الجنوبي في الآقصر ، ثم العودة وهو أطول الأعياد فقد كان في زمن " تحتمس الثالث " يمتد لعشرة أيام فيما امتد في عهد "رمسيس الثالث " الى سبع وعشرون يوماً ، ونتيجة لشعبية هذا العيد اطلق اسمه على اسم الشهر الذي يجرى فيه.

فقد كان الفلاحون يفدون من القرى المجاورة الى المدينة ـ صغارهم وكبارهم ـ؛ ليشاهدوا الإله والملك في الاحتفال الذي يبدأ في معبد " أوبت " في الكرنك إذ يستعد رجال الدين لحمل المراكب المقدسة على الاكتاف ، والطواف بها في ساحات المعبد ، فيما يسير قارعي الطبول في مقدمة الموكب الذي تنتهي مسيرته بالوقوف على شاطئ النهر حيث يتجمع اسطول من المراكب والزوارق أجملها مركب الإله " آمون " ، والإلهة " موت " ، والإله "خوفو" ؛ لأنها تبدو وكأنها معابد حقيقية تطفو على الماء . فهي بطول مائة وثلاثين متراً، ومزينة بزخارف بديعة من الذهب ، والفضة ،

والنحاس ، والفيروز ، واللازورد ، وقد أقيم على سطح مركب الإله " آمون " معبد على غرار معبده في " طيبة " ، مزين بنقوش تمثل الملك ، وعلى المركب بيت توضع فيه التماثيل التي جيء بها من المعابد الأخرى في احتفالات خاصة . وتسبق هذا البيت مسلتان وأربعة ساريات الأعلام ويتشابه بذلك الحال في المعابد الحقيقية . ونظراً لثقل هذه المراكب كان الجنود يجرونها بمساعدة الناس بحبال مفتولة، وسط غناء النسوة ، وتصفيق الرجال ، وقرع الطبول الى مجرى نهر النيل. فينزل مركب الإله " آمون " الذي يتميز -فوق كل ما تقدم- بوجود رأس الكبش في نهايته ، وينزل مركب الإلهة " موت " (زوجته) الذي يتميز بوجود رأس سيدة في نهايته ، أما مركب الإله "خوفو" فينزل إلى النهر وقد وضع على نهايته رأس صقر. بعد أن حمل تمثال الإله "آمون" من معبده في قاربه المصنوع من الخشب المغطى بالذهب، ودفع تمثاله في قمرة وسط القارب الذي يحمله الكهنة على أكتافهم .

عند ذلك تبدأ رحلة الآلهة الثلاث الاحتفالية في النيل ، يتبعها مركب الملك ، ثم مراكب أصغر يجدف فيها كبار الموظفين ويحرق البخور أمام تماثيل الآلهة.

وكانت هنالك حشود ضخمة تصطف على النهر من سكان طيبة ، والجنود والكهنة، والمغنين من الذكور والإناث. فيبدأ الشباب ، والفتيات بالرقص بحركات ايقاعية على قرع الطبول ، والأناشيد ، ويشرع الناس بشراء الحجب ، والتمائم ، والسلع ، والأطعمة ، والأشربة من صغار التجار ، والباعة المرابطين ببضائعهم على امتداد الطريق . ويتخلل الحشد الكثير من القصاصين ، والمنجمين ، والشحاذين، والمشعوذين ، والمومسات ، وتحصل

المشاجرات ويمتزج ذلك الفرح بالخداع والعنف والنشوة الروحية بالشهوة الحيوانية.

أما في الأقصر فإنَّ مائدة دسمة تعد للآله من الثيران السمينة المذهبة القرون ، ويقبل حاملو الهدايا والعطايا في مواكب لا تنقطع ، حاملين على رؤسهم الصواني المليئة بالأطعمة، والخمور وتتصاعد من مطابخ المعبد روائح اللحوم المشوية ، والخبز ، والكعك الطازج.

والهدف من تلك الرحلة عبر النيل ؛ أنَّ يحل إله الكرنك ضيفاً على مدينة الأقصر لبضعة أيام. فتقام الشعائر الدينية المحجوبة عن مرأى العامة ، الذين تتوفر لهم المتعة والتسلية بعيداً عن تلك الشعائر. وينتهي الإحتفال بمجرد العودة للاسطول المقدس ، وإعادة المراكب الكبرى والصغرى إلى أماكنها داخل المعبد ، التي كانت فيها منذ أربع وعشرين يوماً مضت . فيعقد الملك بعد هذا الإحتفال أنَّ الآلهة قد منحت الحياة والخير والسؤدد له ، ولشعب مصر.

وفي طريق العودة يتكون موكب مشابه للموكب السابق ، يتقدمه قارعو الطبول ، ويكون الموكب في رحلة العودة أكثر هدوءاً ، وأقل ضجة ، فيتيقن الملك من أنَّه سيمتلك كل الخيرات التي يمكن أنَّ ينالها إنسان من الآلهة . ومنها طول حياة " رع " ، والحصول على سنوات الخلود في عرش " حورس " بسرور ونشاط ، والانتصار على جميع البلاد ، وقوة "آمون" – ابيه – المتجددة كل يوم ، والشباب الدائم لجسده وبنيتهُ ، وغير ذلك . بينما يعد الشعب حياته وقف على الملك الذي يشبه الآلهة بعد أن طاف بوالده " آمون " بين المعبدين الكبيرين .

أمّا العيد الثاني لآمون ، فهو " عيد الوادي " الذي يقع في الشهر العاشر من السنة وفيه يقلع مركب " آمون " المقدس من مرساه ؛ للاحتفال ، فيعبر النيل ؛ ليزور المعابد الجنائزية للملوك في الضفة الغربية . وذلك لصب الماء لملوك مصر العليا والسفلى.

ومدة عيد الوادي أقصر من مدة عيد " اوبت " ، فهو يستمر لعشرة أيام فقط يخرج الملك في أولها من قصره مرتدياً زياً بسيطاً يتبعه حاملو المظلات ، وخدمه ويرتدي قبل دخوله المعبد (فوطة) فاخرة ، ويضع فوق رأسه غطاءاً فيه رمز لقرص الشمس ، والريش، والثعابين الكوبرا وقرون الثور ، وقرون الكبش.

وتهدف هذه الرحلة الاحتفالية زيارة الوادي ، أو زيارة الدير البحري حيث المعبد الجنائزي للملكة " حتشبسوت " الذي كان يعد ـ أيضاً ـ معبداً للإله "حتحور" .

وحال بلوغ الإله الضفة الغربية ، ودخوله المعبد ، فإنه يأخذ قسطاً من الراحة في بهو الأعمدة في معبد " الرمسيوم " ، ثم يستقبل ملك الآلهة زيارات الآلهة شفعاء الموتى ، وهكذا يترك تمثال الملك المقدس " امنحوتب الاول " معبده محمولاً على نقالة ، يرفعها ويحيط بها رجال يحملون الأسياط الملكية ، ويحركون مراوح ذات أيادي طويلة ، ومظلات وهنالك مركب مقدس ينتظر الملك لنقله إلى مركب " آمون " المقدس الكبير ، وما أنْ تجتمع كل الآلهة حتى تقام الاحتفالات لصالح الموتى الراقدين في سراديب الجبل الغربي.

وتشهد هذه الاحتفالات والأعياد الدينية مشاهد تمثيلية ومسرحية ؛ بغية رفع الملك عن الناس ، واجتذاب اهتمامهم من جهة ، ولأن المراد من

هذه الأعياد والاحتفال تخليد أحداث عجيبة من قصص الآلهة من خلال تمثيلها أمام الشعب في مناسبات مختلفة ، لاسيما في أعياد " ابيدوس" المارة الذكر.

وكان الناس يشاركون في أداء الأدوار الثانوية في تلك التمثيليات ، بينما تركت الأدوار الهامة للمحترفين بإشراف مخرجين ، يبذلون جهود كبيرة ؛ لإتقان ذلك التمثيل من أداء ولباس.

ومن هذه التمثيليات التمثيلية التي تؤدى في "نديت" إذ قتل "أوزيريس" طبقاً للاسطورة في موقع بمنطقة "ابيدوس" . فيتم تمثيل التغلب على "ست" وأتباعه ، والإنتقام بعدها لمقتل "أوزيريس" . يلي ذلك رفع مركب الإله وهو منتصر ، ويُعاد إلى المعبد وسط ابتهاج الجموع المحتشدة.

وهنالك مسرحيات تؤدى في أيام الاحتفالات والاعياد في فناءات المعابد ، أو أمام الصروح ، أو على حواف الأحواض المقدسة . وفيها تعامل الآلهة بطريقة تنطوي على البساطة ، ولا يقتصر فيها التقليد على الحركات ، بل يتجاوزه الى جعل الأبطال من الآلهة تتكلم. فضلاً عما تؤديه النساء من أدوار الآلهة الانثوية مثل الآلهتين " ايزيس " و"نفتيس".

- أعياد الملوك ، واحتفالاتهم.

مما هو مسلم به في إطار أعياد الملوك الكبيرة أنها ذات طابع ديني ؛ لأن فكرة الدولة في نظر المصري القديم تستقر على مبدأ تأليه الملك ، وعلى هذا المبدأ تقوم العبادة كلها. وبالتالي يكون الملك على اتصال مباشر بالآلهة التي يقيم لها الملك معابدها ، ويتقرب إليها بالقرابين . فيما تعطي الآلهة

لابنها الملك حياة من ملايين السنين عن طريق النصر الذي يحققه على اعدائه.

لذا فإنَّ أول ما يهتم به الملوك بعد عودتهم من حروبهم منتصرين ، هو : إقامة حفلات النصر ، وإقامة الأعياد التي يقدمون فيها القرابين للآلهة شكراً لها على ما أعطته لهم من قوة انتصروا بها على اعدائهم ، ومثال ذلك : الأعياد الثلاث التي كانت تقام في عهد " تحتمس " ابتهاجاً بانتصاراته في حروبه التي يستقبلها المصريون القدماء كل عام ببهجة وسرور . وقد أقيم أحد تلك الأعياد الثلاثة باسم الإله " آمون " ، وتسمى جميعاً " بأعياد النصر ".

ونتيجة لارتباط الأعياد الملكية بالعبادة ، فإنها تتقارب من بعض الأعياد الإلهية ، ومن بين تلك الأعياد الملكية العيد المعروف بـ " حب سد " الذي يعد الأشهر ، وقد جرت العادة أنْ يسمى " عيد اليوبيل " الذي يراد به العيد الذي يتم الاحتفال فيه بانقضاء ثلاثين عاماً على ارتقاء الملك عرشه.

والغرض من هذا الاحتفال هو اظهار الملك لشعبه قدرته على الاستمرار في الحكم وإنَّ قوته الجسدية ما زالت على حالها ، دون أنْ يعتريها الوهن.

إلا أنَّ بعض الملوك احتفلوا بهذا العيد بعد مدة قصيرة من توليهم العرش ، وليس بعد ثلاثين عاماً من توليهم الاخير ، أما موعد الاحتفال ففي فصل الربيع عندما تخضر الأرض، وتنمو النباتات في الحقول والمراعي.

ويقام هذا العيد في " ممفيس " التي كانت مقراً للملوك الأوائل ، إلا أن الملوك التحتمسيين أقاموه في " طيبة " ، وشيدوا من أجله قاعات

الاحتفالات والمسلات التذكارية. فقد بني " امنحوتب الثالث " في قصره على الضفة الغربية قاعة ضخمة ، أعاد فيها بحضور بطانته والآلهة تمثيل رواية توحيد القطرين ، وهو المشهد الذي حرمت الجماهير من رؤيته على الرغم من السماح لهم بالمشاركة بالاحتفال على ضفتي النهر مع تناولهم لكميات من الطعام والشراب مما كان يقدم في ذلك الاحتفال . وبهذه المناسبة كانت الشوارع تنظف ، وأماكن الاحتفال تعد ، وتماثيل الآلهة تنصب ويستقبل الملك كبار رجال بلاطه.

ويعاد بهذه المناسبة بناء منازل اليوبيل في المعابد ، وتصنع تماثيل الآلهة من الذهب، والفضة ، والأحجار الكريمة ، وتكسى بالملابس الرقيقة ، وتمسح بالزيوت ، وتقدم لها القرابين ، وتبخر.

ويتم الاحتفال بالشروع بمسير موكب عظيم تحمل فيه تماثيل الآلهة التي يسير الملك خلفها ومعه رجال الدين الذين يحملون رموز الآلهة . بينما يبدأ الملك بزيارة الآلهة في معابدها.

فيتقدم الموكب الملكي إلى المقاصير المحيطة بفناء " الحب سد " التي يجتمع فيها آلهة أقاليم الوجه القبلي ؛ للحصول على موافقتهم لاستمراريته – الملك – بالحكم ، يصحبه بعدها "كاهن سم" إلى المنطقة الموجودة في جنوب ساحة " الحب سد " حيث يجلس على كرسي العرش الخاص بالوجه القبلي ، ويتوج بالتاج الأبيض ، ثم يتكرر الاحتفال مرة اخرى بالنظام نفسه ؛ للحصول على موافقة آلهة الوجه البحري ، فيجلس الملك على كرسي عرش الوجه البحري ، ويتوج بالتاج الأحمر ، ثم يعمد إلى ربط زهرة اللوتس والبردي على وتد مثبت بالأرض كعلامة على اتحاد المملكتين ، مع

إبرازه لخفته البدنية التي يتوقف عليها بقاءه في الحكم ، وخصوبة الأرض الزراعية . – وفقاً لمعتقداتهم. وينتهي الحفل بتقديم أمراء البيت الملكي أنفسهم ، وكبار رجال الدين إلى الملك.

٣- أعياد الموتى ، والاحتفالات المتصلة بهم

على الرغم من أنَّ هنالك أعياد الهية فإن الآلهة كانت تسمح للموتى بالخروج للمشاركة فيها. ففي الواقع لم يكن في مصر القديمة أي عيد لا يذكر فيه الأموات ، "فعيد الوادي" الذي يعد من أعياد الآلهة يعد العيد الأكبر لمدينة الأموات ، وسكانها أمواتاً واحياءاً. فقد كانت أيام هذا العيد بالنسبة لأهالي " طيبة " اياماً لاحياء ذكرى موتاهم ، ومناسبات لزيارة قبور أجدادهم حاملين معهم الطعام والشراب والأزهار إليهم والأضواء؛ لتبدد ظلمة القبور عنهم.

ومن الأعياد التي تعد من هذا النوع ، تلك التي تقام قبل حلول العام الجديد بخمسة أيام في أول يوم من أيام النسيء ، أي في اليوم رقم (٣٦١) من السنة وفي بداية السنة الجديدة . إذ كان كهنة الإله " وبوات " يسيرون في ذلك اليوم ، مخترقين شوارع أسيوط وأسواقها، فيخرجون من المدينة وهم يحملون إلههم " وبوات " إلى معبد الإله " انوبيس " الذي كان يقع في سطح جبانة الجبل . حيث يذبح ثور للإله الزائر " وبوات " فيما يحمل كل كاهن بيده رغيفاً كبيراً أبيض مخروطي الشكل ، وعند دخولهم إلى ساحة معبد " انوبيس " يضعون أرغفتهم عند قاعدة تمثال المتوفى وبعد مضي خمسة أيام من ذلك ، يأتي كبير كهنة المعبد مع تسعة أفراد مساءاً ، فيمرون بالقبور المعتمة ، ويدخلون إلى ظلال المدينة الموجودة في سفح ذلك الجبل ، حتى

يخيم الظلام . وذلك في مساء اليوم الأول من السنة الجديدة . فيما تضاء الأنوار ابتهاجاً بالعيد ، فيتمتع تمثال المتوفى المنصوب في المعبد بمشاهدة القرابين عند قدميه، وتمتلئ أُذنيه بضجيج آلاف الأصوات المنبعثة من جماهير المدينة المجتمعين في معبدي الإلهين ترقباً لانقضاء العام ، واستقبال العام الجديد.

بعد ذلك تذكر حسنات المتوفى ، وتضاء الأنوار في الموكب الذي يعود ثانية إلى باب القبر ، ويسجد له كل من كانوا يخدمونه في حياته خضوعاً ، ممن كانوا على يقين بان المتوفى قادر على الخروج من عالم الظلام إلى عالم الأحياء ، ويحتفل مع الأحياء من أصدقائه.

أما في اليوم الذي يعد من أعظم أيام الأعياد باعتباره اليوم الأول من السنة ، فيحضر أهل الضياع ؛ لتقديم الهدايا إلى سيدهم السابق – المتوفى – مع تواصل اهتمام الحرس والكهنة بالقبر والمتوفى ، طالما كانوا يتسلمون رواتبهم التي ضمنتها وصايا المتوفى فقد جرت العادة أنْ يوصي الانسان قبل وفاته بتوزيع امواله بين أولاده مع تعيين أحدهم للإشراف على مقبرته ، ومتابعته المراسيم الدينية ؛ لادامة ذكرى المتوفى.

وكان بعض المتوفين يحصلون على امتياز قد لا يحصل عليه آخرون ، وهو : وضع تماثيل لهم في المعابد ؛ للاشتراك في تلقي القرابين ، والصلوات المقدمة للآلهة ، أو أنها توضع في هياكل المقابر تحت اشراف الكهنة الجنائزيين فيأتي أفراد أسرة المتوفى إلى المعبد يترنمون بالأغاني ، تكريماً للمتوفى ، فتضاء المصابيح في اليوم الأول والأخير من السنة ، وفي بعض الأعياد الأخرى في المقابر.

ويشترك الموتى الطيبون في أعياد كثيرة ، منها عيد " بتاح – سوكا – أوزيريس " الذي أستقدم إلى طيبة من " ممفيس " وفيه يعاد تمثيل رواية الإله الذي قام من الموت وتقدم فيه للموتى مراكب رمزية توجه مقدماتها يوماً نحو " أبيدوس " حيث يقدم مدفن " اوزيريس "، وفي اليوم التالي نحو الإتجاه المعاكس ؛ استعداداً لرحلة الضريح.

وهنالك أيضاً " عيد اواجا " الذي يدوم الاحتفال به لمدة ثمانية عشر يوماً بعد رأس السنة في المقبرة ، وفي معبد " اوب " و " اوات " سيد اقليم اسيوط ، وفي معبد " انوبيس – انوب " سيد الجبانة ايضاً كان كهنة " اوب " و " اوات " يذهبون الى معبد " انوب " قبل رأس السنة بخمسة أيام ، ويضع كل منهم رغيفاً للتمثال الموجود في المعبد الذي يمثل المتوفى . وفي اليوم السابق لعيد رأس السنة يعطي أحد موظفي معبد " اوب " و " اوات " إلى كاهن المقبرة شمعة سبق استعمالها في المعبد ، ويستلم رئيس موظفي الجبانة واحدة مثلها ، فيذهب بصحبته حراس الجبل ؛ لمقابلة كاهن المقبرة فيسلمها اياه ثم يقدم كهنة "اوب" و "اوات"

رغيفاً من الخبز لتمثال المتوفى عندما يُنهي إنارة المعبد ، يلي ذلك الاحتفال بذكرى المتوفى، ثم توقد شمعة ثانية مساءً ، ويتكرر ايقاد الشموع ؛ لإنارة تماثيل المتوفى. يبقى ان نذكر بان هنالك عيداً يسمى "عيد توت" الذي يمسك بالميزان في مقعد الدينونة ، وخلال هذا العيد يتلقى الأموات المنتصرون أكاليل التبرير والتزكية.

القرابين

كانت العاطفة الدينية عند المصريين القدماء متقدة في كل العصور . فقد فكانوا يسعون دوماً الى تحقيق إرادة الإله الذي يعبدون ، فيؤدون كل ما عليهم من فروض دينية ، ولا يرتكبون أي أثم في حرم معبده وانهم كانوا يخصصون في بيوتهم حجرة تشتمل على مقصورة صغيرة فيها تمثال الإله ، أو صورته وكان أفراد الأسرة يؤدون فروض العبادة له ، ويتقربون له بالقرابين لاسيما في الحقول حينما كانت تمد موائد القربان فيها ؛ ليضع الفلاحون قرابينهم عليها.

والقربان في هذا الحال ، هو : النوع الأول من أنواع القرابين الثلاثة التي شاعت في مصر القديمة ، أي القرابين المقدمة للآلهة. أما حقول قربان الأمراء فكانت في " عين شمس " . ولما رفع الإله " رع " نفسه إلى السماء ، رفعت حقول قربانه إلى السماء أيضاً.

اخذ مفهوم جديد عن القربان بالتشكل ، والتطور منذ عهد الدولة القديمة ، وهو المفهوم الذي يرتبط بفكرة تبرئة الروح عند الحساب في العالم الآخر على وفق الأعمال الصالحة التي قام بها الإنسان في الحياة الدنيا . فمنذ الأسرة الثانية عشرة لم يعد القربان منحة صادرة عن الإله والملك معاً ، بل أصبح الإله هو الذي يمنح القربان للمتوفى بعد أن يتلقاها من الملك ومنذ عهد " امنحوتب الثاني " أصبح اسم المتوفى مقروناً بصفة " بريء الصوت " ، وهي شهادة بأن المتوفى قد مثل للمحاكمة الأخروية وان ساحته قد برئت.

أما بالنسبة لنوعية القرابين فقد أصابها التطور هي الأخرى إذ اختفت القرابين البشرية منذ أمد بعيد ، وحلت محلها الحيوانات ، أو الدمى

المصنوعة من الخبز محل الضحايا البشرية بعد أن كانت التضحية البشرية أمراً واقعاً في الأزمان السحيقة . إذ يذكر أن المصري كان يقرب أخاه الانسان قرباناً لمعبوده عند اشتداد غضبه ، أو حينما يطلب الناس مساعدة الآلهة لهم ، وعن ذلك نجد صوراً على جدران المعابد المصرية حتى نهاية العصور المتأخرة جداً لم يتغير شكلها ، فهي تمثل الملك وهو يقتل الأسرى الذين جيء بهم مكبلين أمام الآلهة تكريماً له.

ولم يكن العبيد - في ذلك الزمان - بعيدين عن أن يكونوا قرابين للآلهة ففي موسم الحصاد كان الفلاحون يقدمون حصة من محاصيلهم لمعبد الإله ، ولخزنة الملك ، يلي ذلك ضرورة تقديم الأضاحي البشرية للإله " آمون " ، لاسيما بعد حضور الملك ، وزوجته، وارتقاءهما على عرشيهما المزينين بالجواهر وإلى جانبهما الكاهن الأعلى ، فيما يجلس النبلاء ورجال الدولة البارزون بمستوى أوطأ منهم ، أما عامة الناس فيقفون أمامهم ؛ ليشاهدوا الطقوس التي يؤديها الكهنة ، لاسيما تلك المتصلة بالتضحية بالعبيد الذين ما أن تقترب ساعة ذبحهم حتى يبدأوا بترتيل التراتيل والترانيم ، فيما تتوقف كل حركة أخرى إلا سير الملك نحو أحدهم فيقطع عنقه ، يتبعه الكاهن الأعلى الذي يذبح الأخر فتختفي صيحات الضحايا بصياح جموع الناس الواقفين وهو المشهد الذي يتكرر في الساعة نفسها في كل المعابد حيث يتم ذبح جموع من العبيد والأسرى ، ثم يتقدم الناس ؛ ليروا الجثث الممدة على الأرض فيلطخون أصابعهم بدمائها ، ويخضبون مقدمات رؤوسهم بها ، يلي ذلك تقطيع الجثث، ورميها للحيوانات المقدسة.

ثم ظهرت فكرة استبدال الضحايا البشرية بالحيوانات التي اخذت تذبح في ساحة المعبد كأنها هي أعداء الإله ؛ فتقتل رضاءً له . فكانت حتى الظباء تذبح كأنها وحوش رهيبة ، وكان الكاهن الذي يقدم اللحم للإله ، يأتيه بافخاذ اعدائه ، فيقول للاله : " لقد قتلت من اجلك ذلك الذي ضربك ".

فتم الإقلاع عن التضحيات البشرية كقرابين للآلهة ، وأخذت الضحايا تتكون من الغزلان والماعز البري بالإضافة إلى الثيران التي كان الكهنة يتولون فحصها فإذا وجد فيها شعرة سوداء واحدة عدت نجسة ، لذا فإن الحيوان يفحص واقفاً ، وراقداً ، ويفحص لسانه، وشعر ذيله . فإذا كان الثور طاهراً من كل الوجوه ، يوسم بعلامة وهي عبارة عن قطعة من البردي تلصق بالطين بعد لفها على قرنيه ، وتختم بخاتم الكاهن ، وإذا ما أخل الكاهن بشروط ذلك الفحص فان عقوبة الموت ستنزل به.

ثم يساق الحيوان المراد التقرب به للإله إلى المذبح ، وهو عبارة عن مصطبة حجرية – وقلما صنعت من الخشب – يوضع على جانبيها مصباحان ، ينتصبان على قاعدتين عاليتين، ويتخذ المذبح شكلاً بين المربع والمستطيل ، تتناسب مساحته مع مساحة مدخل المعبد ، واتساع أعتابه ، وذوق المعماري.

وبعد أنْ يصل الحيوان إلى مذبحهِ توقد النار كأسلوب يراد به إثارة الإله ، ثم يذبح الحيوان ، ويقطع رأسه ، ويسلخ جلده . فيما تكال اللعنات على رأسه المقطوع الذي يعتقد المصريون القدماء أنه سيحمل كل الشرور عن الناس ومصر ؛ لذا فانهم يحرمون تناوله.

أما أحشاء الحيوان فيختلف أسلوب استخراجها بين معبد وأخر ، إلا أن الشائع في معابد الآلهة العظمى هو إخراج المعدة ، بينما تترك الحوايا والدهن داخل جسم الحيوان . ويجري قطع الأرجل ، ونهاية العجز ، والأكتاف ، والرقبة ، ثم يملأ جسم الحيوان بالخبز، والعسل ، والزبيب ، والتبن ، والبخور ، والمر ، ويسكب عليه الزيت ، ويشوى فيما تؤدى الصلوات والإبتهالات.

ويقدم اللحم للإله مشوياً بعد أن تقدم للإله مواقد فحم صغيرة لشي اللحم وليس لحرقه؛ لأن القرابين المحروقة لم يستعملها المصريون في طقوسهم حتى العهود المتأخرة التي أصبح فيها حرق القرابين أمراً مألوفاً .

أما الأبقار فهي مقدسة لدى المصريين القدماء ؛ لذا فإنهم يحرمون ذبحها تكريماً لمعبودتهم " ايزيس – حتحور " . وإذا ماتت الثيران ، والأبقار فإنهم يلقون بالإناث منها في النهر ، وتدفن الذكور في ضواحي المدينة مع ابقاء قرنيها أو أحدهما بارزاً كعلامة على مكان الدفن حتى تتحلل الجثة ، فيأتي قارب من جزيرة واقعة على الدلتا ، أما المدينة التي تأتي منها القوارب لحمل عظام البقرة فتسمى " انارابيخيس ".

هذا وتبقى القرابين التي شويت – كما تقدم – على المذابح الى أن يرضى الإله فيقبل الاستمتاع بها وهنا يجيء الكاهن فيرفع أواني طعام اليوم السابق الموضوعة في قدس الأقداس ليملأها مرة اخرى من قاعة المذبح بالخبز والفطائر الحلوة الطازجة.

اما عن كميات تلك القرابين فيمكن معرفتها من خلال إلقاء نظره على قائمة القرابين التي قررها " رمسيس الثاني " . ففي كل يوم كان المعبد

يستلم (٣٢٢٠) رغيفاً من الخبز، و(٢٤) قطعة كعك ، و(١٤٤) قدراً من الجعة ، و(٣٢) أوزة ، وبضعة قدور من النبيذ . يضاف إلى ذلك انه في اليوم الثاني والرابع والعاشر والخامس عشر والتاسع والعشرين والثلاثين من كل شهر كانت تقدم (٨٣) رغيفاً من الخبز ، و(١٥) قدراً من الجعة ، و(٦) طيور وقدر واحد من النبيذ . وفي مطلع القمر الجديد وفي اليوم السادس من كل شهر كانت القرابين تبلغ (٣٥٦) رغيفاً من الخبز، و(١٤) كعكة ، و(٣٤) قدراً من الجعة ، وثوراً واحداً، و(١٦) طيراً ، وثلاثة قدور من النبيذ.

ولكن على الرغم من ضخامة هذه الكميات المتنوعة من الأغذية ، فإن الإله لا يأكل منها ، وإنما كانت تقدم إلى تمثاله حيث تكمن الروح فيه ، وما إن يعتقد الكهان أن الإله قد شبع ومعه بقية الآلهة الأخرى التي يستضيفها في معبده حتى توضع تلك الأطعمة أمام تماثيل المتوفين من ذوي المقامات الرفيعة في الدولة ممن وضعت تماثيلهم داخل المعبد ، يلي ذلك سحب الطعام ليوزع بين الكهان في المعبد . وهكذا كانوا يعيشون على تلك القرابين المقدمة للإله مستمتعين بحقيقتها المادية بعد أن شبعت روح الإله ، وأرواح ضيوفه من الآلهة.

وخلال الاحتفالات الدينية كانت هناك جموع من الفقراء تحضر الى المعابد لتتناول ما يقدم لها من طعام هو في الأصل ما تبقى من القرابين المقدمة للآلهة وحسمت منها حصة الكهنة ، ونتيجة لكثرة عدد أولئك الفقراء ، واندفاعهم بشكل متكرر خصصت لهؤلاء الفقراء قاعات في المعبد .

أما مصدر هذه القرابين فهو إما من الدولة لاسيما في ايام الدولة الحديثة ، أو من الأفراد فقد توجب على من يريد دخول معبد الإله من الافراد

تقديم قربان ، فإذا فعل ذلك استطاع اجتياز الفناء الذي تكثر فيه تماثيل الكباش التي يتمثل فيها الإله ، ثم يقترب من بركة الماء التي يسبح فيها التمساح الذي يمثل الإله " سوبك " ، ومن الأفضل أَن يقدم تمثالاً للإله "آمون " إذا كان من أهل " طيبة " ، وتمثالاً للإله " بتاح " إذا كان من أهل " ممفس " ؛ ليستمع الى شكواه . فالمعروف أن الإله لا يخرج من معبده إلا مرة واحدة كل عام. كما تقدم ذكره في مجال الاحتفالات الدينية .

فقد كان استرضاء الآلهة يقوم على اساس معاملتهم كما يعامل البشر والتقوى تعني احياناً تقديم الهدايا للمعبودات من اللباس ، والطعام ، وغير ذلك مما يتناسب مع ثراء وفقر، وظروف وحالة ودوافع الواهب.

ويتبقى لنا أن نذكر النوعين الآخرين للقرابين ، وهما : المتصلان بالموتى فهي إما تضحيات للموتى تعرف بالتضحيات الجنائزية ، أو هبات لصالح الأموات تعرف بالهبات الجنائزية.

فقد اعتقد المصري القديم أن الموتى يعيشون ولكن بطريقة أقل واقعية ، لذا فإنهم بحاجة إلى الطعام والشراب كما كانوا يفعلون قبل مماتهم ، لذا فان الرجل منهم كان يعمل على ضمان كل شيء لروحه بعد مماته ، لاسيما أنهم أدركوا أن الموتى لا يأكلون ، ولا يشربون بأجسادهم بل بأرواحهم.

ولم يقتصر حرص العديد منهم على ذلك الأمر بالإكتفاء بوجود تماثيلهم في معابد الآلهة ، بل تجاوزه إلى تكليفهم كهنة مقابرهم بتوفير عدد معين من أرغفة الخبز في الأعياد بعد موتهم ، لتوضع أمام تماثيلهم ، ثم تكون من بعد ذلك من نصيب كهنة مقابرهم.

يضاف إلى ذلك القرابين التي يقدمها أهل المتوفى لفقيدهم في يوم نقله إلى قبره لدفنه حينما يضعونها أمام مومياءه . بالإضافة إلى ما يقدمه الملك من قرابين الطعام والشراب، ومساهمته في دفنه ، والسماح بقطع أحجار قبره من المحاجر الحكومية المتميزة ، وصنع مداخل الروح ، والتوابيت ، والتماثيل في مصانعه الملكية وتحت إشراف كبار فنانيه إن كان المتوفى يحظى بتقدير الملك.

نظم الحكم والادارة في مصر القديمة

١ـ الملـك الإلـه :

يتسم الحكم في مصر بترابط أجزائه جميعاً برباط وثيق وذلك يفضل النيل ، ترابط جعل الحكم المركزي ضرورة لازمة لحياة الشعب ، ثم تبلورت بعد هذا صفات الربوبية في الحاكم الاعلى وذلك بعد توحيد البلاد فاصبح الفرعون هو مصدر القانون ومنبع الحياة لأنه تجسيد الاله على الأرض. ويبدو واضحاً ان ملك مصر لم يتصف بالربوبية الا بعد انتهاء الاسرة الثانية والدليل على ذلك ان ملوك الآسرتين الاولى والثانية قد انهمكوا لفترة طويلة في دعم الوحدة بين الشمال والجنوب وان مهمتهم لم تكن سلة وانهم اعتمدوا باستمرار على القوة والحرب دون جدوى فانتهى بهم الامر الى الأخذ بالوهية الملك.

ومن خلال استقراء التاريخ يتبين ان النظام السياسي في مصر ارتكز على فكرة الملكية الإلهية واعتبر بهذا الملك بانه الهاً بين البشر. وبهذا الشكل اصبح صاحب السلطان في مملكته ومالك أرضها وغلاتها والمسؤول عن فيضان النيل. وعن شروق الشمس وميلاد الناس وانبات الزرع وانه من ابناء

الالهه يرعى شؤون ابائه ويتلقى منها لقاء ذلك السلطة التي يسود بها على الارض. فانه رب ارض مصر وسيد من عليها وما عليها. وانه يجلس على العرش كسليل للإلهة ويمارس سلطاته كواحد منهم .

وعلى الرغم من ذلك فهو يعرف مكانه بين الإلهة ، فيكون حريصاً على إرضائهم عندما يكون على الأرض ... فهو حي لا يموت بل يهرب من الموت حين يأتيه فيرتقي الى السماء طائراً حتى يغدو نجماً متألقاً بين النجوم وانه حين يتوجه بالحديث للإله فيقول :

" انا ابنك انا من جاءت به الى وجود ذراعك !

انت من احللتني على العرش سيداً وعلى الارض مولى !

لقد صنعت الكمال من اجلي حتى اقوم بواجبي في سلام !

الن يلن قلبي عن السعي وراء تزين الهياكل وتجميلها !

اني ارفعها مقدمة لك بما على الارض من رجال وحاشية وسفن !

لقد وسعت ما كاد ينهار من معابد وقدمت القرابين اللازمة وزينتها بالذهب الابريز وبنيت القلاع والمدائن التي نقش اسمك المقدس فوقها ..."

بهذه التقوى يخاطب الملك ربه حتى ينال البركة والقوة.

وبالإضافة الى ما تقدم فان الملك كان يدعى الاله الكامل فيما جرت العادة عليه وكان يسمى حورس وابن رع وكانت الشخصية الالهية التي كان يمتلكها قانونية كان هدفها تدعيم السلطة الملكية قانونيا ولم تكن هذه الشخصية الإلهية تنتزع شيئا فشيئا من صفة الملك الانسانية اذ لم يكن في استطاعته ان ينتهك دون عقاب حرمة (الماعت) التي ترمز الى اقامة النظام السياسي العام في مصر والتي يجب تكريمها باقامة العدالة. فقد كان الملك

يتقيد في سياسته بتعاليم (الماعت) وهي آلهة العدل رمز بها المصري كل المثل العليا التي يجب على الحاكم ان يرعاها في تنفيذ سياسته في الحكم. وتستمر هذه الهالة من القداسة للملك حتى تصل السلطة الملكية الى قمة عنفوانها وسطوتها في عهد الاسرة الرابعة اما في نهاية هذه الاسرة فحدث تبدل في شخصية الفرعون الالهية ويظهر هذا من قيام الملك "شبسكاف" بتزويج ابنته من رجل خارج البيت المالك وهو " بتاح شبس " وفي هذا الزواج خروج على تقاليد الاسرة المالكة التي تعتقد في الولهية ملوكها. كذلك حصل التبدل الواضح في شخصية الفرعون عند قيام الاسرة الخامسة حيث بدأت هذه الشخصية تفقد الشيء الكثير من قداستها والوهيتها ولم يعد يفصلها عن الشعب فاصل كبير ويتضح ذلك من خلال اللقب الذي اتخذه الملك وتبديله من لقب " الاله العظيم "الى لقب " الاله الطيب ".وقد خرجت هذه الاسرة على الناس بأسطورة تجعل ملوكها ابناء

الاله " رع " ومن صلبه وان (رع) هو الاب الفعلي للفراعنة وانهم اخذوا واحدا من الالقاب الخمسة هو لقب " ابن رع ". وهذا ناتج بدون شك من طغيان سلطة الكهنة وخصوصاً كهنة اله "رع" وتدخلهم بالأمور السياسية .

وعند قيام الاسرة السادسة واعتلاء "تيتي" عرش هذه الاسرة بدأ بتقرب كهنة منف حيث اضفى على نفسه لقب " المحبوب من بتاح اله منف " وهذا يعني زيادة نفوذ الكهنة وطغيانهم على سلطة الفرعون بحيث فقد الملوك الكثير مما كان لهم من النفوذ والقوة والمال والسطوة. ومن هذا يتضح انه في اواخر عصر الدولة القديمة برزت اللامركزية التي قللت من

الوهية الفرعون وقدسيته التي كان يحيط بها سابقا في نفس الوقت الذي علا فيه شأن النبلاء وحكام الاقاليم ثم اصبحت فكرة المساواة مقبولة من الناحية النظرية.

اما بالنسبة لولاية العهد فكانت كقاعدة تنحصر في الابن الاكبر للملك لكي يبقى الدم الملكي الخاص ثمرة زواج الاخ الملكي من الاخت الملكية من الابوين الملكيين.وهذا لا يعني ان تاريخ الملكية قد خلا من حوادث اغتصاب العرش بل على العكس فقد حدث اكثر من مرة ان استولى على العرش مغتصبون او اشخاص تزوجوا من اميرات من الاسرة المالكة واستولوا على العرش وشكلوا اسراً حاكمة جديدة وعلى كل حال فان وضع هؤلاء لا يعد شرعياً الا اذا اقيمت لهم مراسيم التتويج.

مراسيم تتويج الملـك :

كان الملوك يتوجون في احتفال كبير يجري في ممفيس ويتضمن هذا الاحتفال طقوساً تهدف الى اظهار وحدة قسمي المملكة (مصر السفلى ومصر العليا) في شخص الملك الجديد كما تهدف الى اضفاء صفة الالوهية عليه وتنصيبه الها ينضم الى اسلافه الذين سبقوه الى السماء. فكان يظهر كاهنان بقناعي الالهين " حور " و "ست" يقودان الملك ليغسلاه وليطهراه وليتوليا تقديمه للإلهة الاخرين.

ثم يسلم الملك شارت السلطة المقدسة والتي تتضمن الصولجان و" السوط ". ثم بعد ذلك يلبس الملك التاج الابيض وهو رمز مصر العليا ثم يصعد على رصيف وهو لابس التاج وكان يطلق على هذا المنظر بـ (طلعة ملك الوجه القبلي) ثم بعد هذا يلبس الملك التاج الاحمر الذي يمثل رمز مصر

السفلى ويصعد كذلك على ذلك الرصيف وهو لابس التاج الاحمر ويطلق على هذا المنظر بـ(طلعة الملك الوجه البحري). ثم بعد هذا يجلس الملك على عرش تحيط به اوراق البردي وزهرة اللتوس ، وهذه العملية تشير الى اتحاد المملكة الثنائية.

وقبل انتهاء مراسيم يقوم الملك بالطواف حول الجدار الابيض وهي حركة ترمز لتسلمه العرش وتولية امر الدفاع عن مصر وهو بهذا يحي امر اقامة "الجدار الابيض " التي تعني انتصار الجنوب على الشمال واتحاد البلاد.

ومن الاعياد المهمة التي كان يحتفل بها الملك هو عيد "سد" الذي يعود بالذكرى الى تلك التقاليد والعادات البربرية التي كانت كثيرا ما تنتهي بقتل الملك واستبداله بخلف له اوفر شباباً وصحة. اذ كان يعتقد ان السلطة كانت تعطي للفرعون لمدة ثلاثين عاما وعند نهايتها يخلع او يقتل وكان هذا الاحتفال يقام كل ثلاثين عاما. ومن هنا يتضح ان المصرين قديما كانوا يعتقدون انه بعد ثلاثين عاما سوف يصل الملك الى مرحلة الشيخوخة وعندها لا يصلح لإدارة الدولة فلهذا كانوا بهذا الاحتفال يقومون باستبداله بشخص اكثر شبابا وحيوية منه ولهذا تعد هذه التقاليد من التقاليد الوحشية ولكن بمرور الزمن تبدل هذا الامر بانه اصبح الملك يظهر بعد ثلاثين عاما وكأنه ملك جديد للدولة بحلية جديدة ليبدأ عهد جديد لإدارة شؤون الدولة .

- صلاحيات الملك وواجباته :

لكون السلطة المركزية بيد الملك فقد كان عليه واجبات ومهام كثيرة يجب عليه ان يقوم **بتأديتها** حال اعتلائه عرش الدولة ومن اهم هذه الوظائف والواجبات هي كما يأتي :

1- كان الملك هو المسؤول عن اقامة المعابد الجديدة وترميم القديم منها وتشيد الأضرحة والمقابر يزورها ويتفقد احوالها بصفته ابن الالهة فيكون هو المسؤول عن اداء الوظائف الدينية التي تتعلق بالالهة.

2- ولكون الملك هو الكاهن الاعظم فهو الذي يقوم بتعيين الكهنة الذين ينوبون عنه في اقامة شعائر العبادة في المعابد المنتشرة في البلاد .كما ان الملك بعد موته سيلتحق بالإلهة في السماء ، وبهذا يعتبر في الحياة الاخرى شبه وسيط بين الالهة وافراد الشعب يظلهم بحمايته.

لهذا السبب كان رجال البلاط وكبار الموظفين يحرصون على ان تكون مقابرهم بالقرب من مقبرة ملكهم حتى ينعموا بخدمته في الحياة الاخرى كما نعموا بها في الحياة الدنيا.

وعليه فقد احتفظ ملوك مصر بمساحة من التبجيل والتقديس نتيجة لخاصيتهم الالهية بالإضافة الى اهميتهم كحكام دنيويون اذ بقيت مكانتهم في المقدمة والدليل على هذا وجود تماثيل هؤلاء الحكام في الكثير من المعابد وهي تتقدم على تماثيل الالهة .

3- وعلى الملك ان يقوم على توطيد اركان العدالة وان يعمل على زيادة رفاهية الشعب وتأمين وسائل حياته وذلك بحفر الترع واقامة السدود والقنوات لزراعة الارض وتوزيع جزء من المحصول على افراد الشعب وخزن الفائض منه لوقت الحاجة.

4- يتولى الملك الدفاع عن مصر وحمايتها من أي اعتداء خارجي طامع في خيراتها وقيامة بالمهام الحربية وقيادة الجيش. بصفته القائد على الاعلى للبلاد .

إدارة الدولـــة

كان على راس النظام الاداري في مصر هو الملك الذي حكمها كآله والذي جمعت بيده كل السلطات وان كل البلاد كانت ملكاً له الا ان كثرة المهام التي يقوم بها الملك واتساع البلاد وكثرة اقاليمها اصبح من الصعب عليه ان يدير شؤون البلاد بمفرده بما فيها الشؤون الادارية والقضائية والدينية فلهذا استعان بعدد من الموظفين لينوبوا عنه في تلك المهام. وكان من اهم الموظفين لدى الملك هو الوزير ثم حكام الاقليم والكهنة ورجال البلاط والحاشية الملكية وعليه تكون التشكيلة الادارية حسب مراتبها كالاتي :

٢- الوزير ومهامـه :

هناك من الباحثين من يعتقد ان لقب الوزير لم يظهر بشكل مؤكد الا في عهد الاسرة الرابعة وتحديدا في عهد سنفرو وكما يرى " دريوتون ".ولم توجد اثار واضحة لوجود تلك الوظيفة في عهد الاسرة الاولى والثانية الا انه من المؤكد وجود موظف يكون حلقة الوصل بين الملك وموظفيه وبعد توحيد البلاد ظهرت الحاجة لهذه الوظيفة اذ كان الوزير الرجل الثاني في الدولة بعد الملك اذ تعرض عليه جميع الامور الهامة في الدولة فقد كان يشرف على المحفوظات الملكية حيث كانت تحفظ المراسيم وتسجيل العقود والوصايا. وكان يعاون الوزير رؤساء الإرساليات الذين ينقلون اليه التقارير التي تخص الإدارات الإقليمية.

وقد كشفت التقنيات الأثرية وخصوصا ما ذكر في الكتابات الهيروغليفية على اسم " تاني " يعني وزيرا في المملكة القديمة ، وقد كانت هذه الوظيفة في الاسرة الرابعة مقتصرة على اولاد الملوك من البيت المالك

ثم بعد هذا انتقلت هذه الوظيفة الى النبلاء. وبالإضافة الى ما تقدم من واجبات فان الوزير يشرف على القضاء الذي يدخل ضمن سلطاته فكان يقوم بترقية القضاة وتعيين حارس المحكمة. وكان ايضا رئيس القضاة الأعلى الذي يرأس محكمة الستة اذ كان يلقب بعظيم الخمسة في " بيت نحوت " " وكاهن ماعت " منذ الاسرة الخامسة والى جانبه كان يوجد قاضي " نخن " وهو قاضي التحقيق.

وقد ظل الوزير يحتفظ بلقب قاضي القضاة حتى زوال الملكية. وكان الوزير يشرف على إدارتين مهمتين هما الخزينة والأعمال الزراعية ويعاونه رؤساء المأموريات الملقبون بحملة خاتم الإله (ملك الوجه القبلي) وحملة خاتم الوجه البحري وكان من مهام أصحاب اللقب الاول هو تنظيم وقيادة البعثات لاستثمار المناجم او البعثات الخارجية وكان هؤلاء ونعني (رؤساء المأموريات) يقومون بالإشراف على ما يقام من مباني وبالتالي يكون تحت يد الوزير

موظفون يحملون لقب رؤساء الأعمال يتولون أعمال البناء.

ومما تقدم يتضح ان الوزير كان رئيسا لكل دائرة حكومية وكان رسله يتجولون في البلاد لينقلوا أوامره الى المديرين المحليين وليرفعوا له التقارير عن الاحوال التي يشاهدونها وكانت كل معاملة تتعلق بالأرض تسجل في مكتب الوزير اما بعد الاسرة السادسة فقد اصبح الوزير الرئيس والحاكم العسكري للمسكن الملكي.

وكما هو الحال لبقية الوظائف تحولت وظيفة الوزير الى وظيفة وراثية وكان يعتقد ان هذه الوظيفة لاتعقد الا لشخص واحد الا انه بعد العثور على

نقش في الكرنك تناول ذكر عدة وزراء في نفس الوقت ، فلهذا ذكر المؤرخون بعد العثور على هذا النقش انه كان يوجد وزيران أحدهما وزير للدلتا واخر للوادي. وهذا يعني انه في بعض عصور مصر الفرعونية اصبح هناك وزيران واحد في منف واخر في طيبة وفي هذه الثنائية تذكير بالمملكتين الموحدتين معا في شخص الفرعون.

هذه هي اهم المهام التي كان يقوم بها الوزير في مصر عهد الدولة القديمة وكما ذكر في المصادر انه كان من اهم الشخصيات بعد الملك في الدولة.

٣- حكام الأقاليم :

منذ بداية العصر الحجري الحديث واكتشاف الزراعة وبناء القرى الزراعية والتي توسعت في العصور التاريخية الى مدن ضمت الكثير من القرى والمساحات الزراعية بحيث أصبحت هذه المدن مراكز لأقاليم كثيرة على هيئة إمارات.

وقد بلغت أقاليم مصر في عصر الأسرات اثنين واربعين إقليما كان منها اثنان وعشرون في الوجه القبلي وعشرون في الوجه البحري وقد أطلق المصريون القدماء على كل اقليم اسم (سبت sepet) او سبات (sepat) وعرفت ايام اليونان باسم (نومي nomi). وقد قسمت على وحدات اصغر ذلك تسهيلا لجباية الضرائب وحكم البلاد.

وكان لكل اقليم عاصمته التي كانت مقرا للحاكم وموظفيه كما كان في كل عاصمة من عواصم الاقليم معبدها الخاص وألهاها المحلي تقدم فيه القرابين وتقام فيه الطقوس لذلك الاله. وقد اصبح حاكم الاقليم هو الكاهن

الاعلى لمعبود اقليمه واتخذ كل اقليم علما له او رمزا خاصا به وكانت هذه الاعلام او الرموز تمثل بالغالب حيوانا او شجرة او طيرا ويبدو ان هذه الاقاليم قد تكونت في بادئ الامر في الوجه البحري حيث الارض اكثر اتساعا مما هي عليه في الوادي الضيق بالصعيد وقد سمح اتساعها بقيام القرى والمدن بعضها من حول بعض وساعد على توثيق الاتصال كل منها بغيرها في حين فرضت الطبيعة على اغلب مدن الوجه القبلي ان تقع على احد جانبي النهر كأنها في صف واحد.

واخيرا تجمعت اقاليم الصعيد لتكون في الجنوب كما تكونت مملكة اخرى في الشمال مماثلة لها من تجمع اقاليم الدلتا.أي مملكة في الوجه القبلي واخرى في الوجه البحري وكانت عاصمة مملكة الشمال (بي) وموقعها الان " تل الفراعين " في غرب الدلتا (على مقربة من دسوقي) اما عاصمة مملكة الجنوب في " نخن" و" نخب" وهاتان العاصمتان تقعان الان (على مقربة من مدينة الكاب الى الشمال من ادفو).

وقد اتخذت مملكة الشمال نبات البردي رمزا والناشر حامية ، في حين اتخذ الوجه القبلي نوعا من نبات الاسل رمزا له والرخمة حامية وميز ملوك الشمال انفسهم بتاج احمر بينما ملوك الجنوب التاج الابيض وكانت تؤدى لهم جميعا بعد وفاتهم طقوس خاصة وقد سماهم المصريون فيما بعد (باتباع حورس).

اما في اواخر عصر الاسرات فقد حدث نزاع بين مملكة الشمال (الوجه البحري) والجنوب (الوجه القبلي) فأدى الى استيلاء مملكة الجنوب

على الشمال وتوحيدها في مملكة واحدة. وبهذا الشكل تكونت الاقاليم المصرية .

تطور وظيفة حاكم الإقليم :

لقد ذكرنا سابقا ان مصر قسمت الى مقاطعات عديدة وكان لابد للملك ان يعين على كل اقليم حاكما يقوم بإدارة شؤون ذلك الاقليم وخاصة النشاط الزراعي فمنذ الحقبة الثنية ظهر لقب (عج-مر) ومعناه (المشرف على حفر القنوات) وهو اللقب الرئيسي لحكام المقاطعات عند بدء الدولة القديمة فمنها تكون مهمة حاكم الاقليم هي التفتيش على القنوات والمحافظة عليها وكذلك ان يقوم باحصاء عام كان يبدأ كل سنتين ابتداءً من الاسرة الثانية.

ونظراً لأهمية حاكم الاقليم فقد ظهرت له عدة ألقاب وذلك للمهام العديدة التي كان يقوم بها ومن هذه الألقاب لقب (سشم) أي مدير البلد ولقب رئيس المأموريات وبلقب ايضا (حاكم البيت). وكان يشرف على القضاء الى جانب الاعمال الكتابية وجباية الضرائب لذا كان يحمل كذلك لقب " ساب " ولقب " كاهن ماعت " وتحت امرته عدد كبير من الموظفين فمنهم قضاة الحقول وكتابها ولهم الاشراف على الخدمات الاجبارية وجمع الضرائب المستحقة.

وهناك القاب اخرى مثل لقب (رخ- بنسوت) بمعنى المعروف عند الملك ولقب (امر ويدت) بمعنى مدير الارسالات الملكية ، كل هذه الالقاب تدل على ان حكام الاقاليم كانوا يقومون بالاشراف على جميع ما يخص مقاطعاتهم من اعمال وادارات سواء كانت زراعية او قضائية او غيرها.

اما بالنسبة لتطور سلطة حكام الاقاليم فنلاحظ انه في النصف الاول من الدولة القديمة كان حكام المقاطعات معرضين للنقل من مكان لاخر حسب رغبة الملك فكلما قوي سلطة الملك كان هؤلاء الحكام مجرد موظفين عنده وليس لهم أي نفوذ شخصي ففي هذه الفترة كانوا يدفنون بجوار قبر الملك.وهذا يدل على ان سلطتهم في هذه الفترة كانت ضعيفة ، وذلك بسبب قوة نفوذ ومركزية الملك ولهذا يكون ارتباطهم به قوياً .

ففي عهد السلالة الرابعة مثلا كان حاكم المقاطعة موظفاً يعين بمرسوم ملكي ويتم اختياره من بين الكتاب وهناك الى جانب حاكم المقاطعة حكام اخرون يحملون لقب (حاتي عا) يختارون من وجهاء البلد يهبهم الملك حكومة المقاطعة ويعينهم بمرسوم ملكي تكون بموجبه ربع المقاطعة لهم ويوزعون الادارة فيها بين افراد اسرهم.اما في النصف الثاني من الدولة القديمة وعلى الرغم من احتفاظ الملوك نظرياً بحق النقل والعزل فانهم لم يستعملوه ، وبهذا قويت الروابط بين الحكام ومقاطعاتهم والذي ساعدهم على ذلك بان اصبحت مراكزهم وراثية ، فتمتع الكثير منهم بنفوذ كبير وسلطة واسعة في اقاليمهم وخاصة اذا كانت بعيدة عن العاصمة وقد عمدوا منذ اواسط الاسرة الخامسة الى حفر مقابرهم في اقاليمهم.

وقد اصبح مبدأ التوريث في عهد الاسرة السادسة تقليدا متبعا ثم اصبح فيما بعد حقا مكتسبا وهكذا انشأت اسرات الامراء الاقطاع في الاقاليم واصبح لاكثرهم سلطة واسعة كحكام الفتين الذين كان لهم بلاط خاص وتحت امرتهم عدد من الموظفين ولهم السيادة المطلقة في الشؤون الدينية والقضائية والحربية والمالية.

وعلى ما يبدوا ان الفراعنة قد ادركوا خطر ذلك فعينوا حاكما للجنوب مرتبطا بالحكومة المركزية ولكن وجود اكثر من حاكم للجنوب في وقت واحد اضعف قيمته ثم صار لقبا يحمله حكام المقاطعات الاقوياء الامر الذي ادى الى اضعاف الحكومة المركزية.

واخذت الدولة القديمة تقترب من نهايتها واضطرب الامن في البلاد وبدأت الاعتداءات على المقابر تكثر حتى اضطر اصحابها الى نقش عبارات التهديد لكل من يلوثها او يصيبها بسوء او يغتصبها لنفسه بانهم سوف يقاضونه امام الاله العظيم.

مما تقدم يتضح بان هناك أسباباً أدت الى أضعاف السلطة المركزية في النصف الثاني من الدولة القديمة وتقوية سلطان حكام الاقاليم وهذه العوامل هي :

1- اعتلاء ملوك الاسرة الخامسة العرش واغداقهم على المعابد بسخاء .
2- منح كبار الموظفين مساحة كبيرة من الارض المعفاة من الضرائب للصرف منها على اقامة طقوسهم الجنائزية مما أدى الى قلة دخل الحكومة المركزية .
3- ازدياد سلطة حكام الاقاليم ووراثة ابنائهم للوظيفة.

- اهم الاقاليم القديمة في مصر :

لقد عد المصريون القدماء مقاطعة اسوان هي اول المقاطعات المصرية ويرجع ذلك الى سببين الاول هو ان المصريين كانوا يولون وجوههم شطر الجنوب عند التعرف على الجهات الاصلية فيكون الغرب عن

يمينهم والشرق عن يسارهم اما السبب الثاني ربما يكون بان النيل هو منبع الحياة يأتي من الجنوب وكانت مقاطعة اسوان تبتدأ به.

اما المقاطعة الثانية فهي كوم امبو وادفو ولهذه المقاطعة اهمية خاصة بسبب احتوائها على محاجر عظيمة.اما بالنسبة للمقاطعة الثالثة فهي (اسنا) وتاتي اهمية هذا الإقليم لانه كان الموطن الاصلي لامراء (ثينس) الذين نزحوا شمالا ثم اصبحوا فيما بعد ملوك مصر الموحدة وفي هذه المقاطعة ثلاث مدن هي العاصمة الدينية (سني) ثم المدينة المزدوجة " نخب ونخن " ثم خليفة نخب هي قرية الكاب الحالية التي كانت في بدأ التاريخ كما يبدو عاصمة الوجه القبلي كله.

اما المقاطعة الرابعة هي " واست" او " ويسة " (طيبة عند الاغريق) كانت طيبة مدينة صغيرة مغمورة اول الامر ثم اصبحت عاصمة لمصر وظلت كذلك لفترات طويلة من التاريخ ولكنها لم تزدهر الا منذ سنة ١٥٠٠ ق . م واطلق المصريون عليها اسماء تدل على مكانتها القوية فسميت (المدينة ذات المئة باب) و (مدينة المدن) و (المدينة الابدية) و (المدينة القوية).

وتعد (قفط) هي المقاطعة الخامسة حيث تقع الى الشمال من مقاطعة طيبة. على الضفة الشرقية للنيل ما بين قنا والاقصر حيث ترجع اهميتها الى موقعها.

اما بالنسبة للمقاطعة السادسة والسابعة لم تذكر لقلة اهميتها فهنا نذهب للمقاطعة الثامنة وهي (ابدو) (ابيدوس بالاغريقية) وهي اشهر مدينة مقدسة في مصر القديمة تقع على بعد ٨٠ كم من (فقط) وبمرور الزمن

تحولت لمقبرة تشبه مدينة الاموات في البر الغربي.غير انه لم تكن لابد وهذه المكانة السياسية التي كانت للمدينة المجاورة ثن (طيبة) فقد كانت هذه المقاطعة هي الموطن الاصلي للملوك الأسرتين الاولى والثانية. والى الشمال من المقاطعة الثامنة كانت توجد (١٤) مقاطعة تمثل بقية مقاطعات (الوجه القبلي) ضمن قائمة (سنوسرت الاول) . التي سوف نذكرها في خارطة الاقاليم وبهذا يكون عدد مقاطعات الوجه القبلي اثنان وعشرين مقاطعة .

اما بالنسبة لأقاليم الوجه البحري فيلاحظ ان اقليم منف يدخل ضمن مقاطعات هذا الجزء من مصر فتعد (منف) اول مقاطعات الوجه البحري وذلك لامتداد راس الدلتا قرب منف ولهذا لم يدخل ضمن اقاليم الوجه القبلي اما في آواخر حكم الاسرات وبعد تقهقر راس الدلتا جهة الشمال دخل اقليم (منف) ضمن اقاليم الوجه البحري (مصر السفلى الشمالية). وعلى اية حال فان معلوماتنا عن اقاليم مصر السفلى الشمالية قليلة فلهذا يكون الحديث عن هذا الجزء بشكل اجمالي ، وعلى هذا الاساس سوف نرد أسماء هذه الاقاليم فيما بعد في جدول الاقاليم .

٤ ـ الكـــهنـــــة

منذ ان نشأت الدولة ومع نشوء نظام الحكم توجب ان يكون هناك سلطة قوية بيدها مقاليد الحكم سواءً على المستوى السياسي او الديني وعلى هذا توجب فصل السلطة الدينية عن الدنيوية وان الملك اصبح الكاهن الأعظم ولكثرة مشاغل الملك وتعدد الواجبات تطلب ان يكون هناك نائب عنه يقوم بالمهام الكهنوتية بشكل عام.

وبما ان الملك قد ورث كهانة المعبودات المختلفة في البلاد عن حكام المدن والاقاليم اصبح له من الناحية النظرية حق القيام باداء الطقوس الدينية للآلهة جميعاً وهذا الامر لم يكن ممكناً من الناحية العملية خصوصاً مع تعدد المعبودات وانتشار معابدها في انحاء البلاد وكثرة الطقوس المقترنة بها اضافة الى كثرة المهام التي يؤديها الملك.

لهذا اصبح من الطبيعي ان يكلف الملك بعض المقربين منه لهذه المهام المقدسة وتعين رؤساء الكهنة من بينهم يعاونهم في ذلك الكهنة الآخرون من افراد الطبقات العليا ممن تلقوا تعليماً كهنوتياً جيداً. وجرت العادة على ان يشغل وظيفة الكهنة اغلب الناس من ذوي المكانة المرموقة في المجتمع الى جانب اعمالهم ووظائفهم الاخرى.

فالقضاة مثلاً كانوا كهنة اله العدل وكان الاطباء كهنة الاله سخمت. ومع كثرة الطقوس الدينية والشعائر والمراسيم الدينية اصبح من الضروري ان يتفرغ عدد اكبر من رجال الدين للخدمة في المعابد فظهرت طبقة الكهنة المحترفين التي زاد عددها منذ عصر الدولة الوسطى وتشعبت اعمالها وتعددت خدماتها فقد كان بعض الكهنة يقومون بتلاوة الصلاة والادعية وادارة خزينة المعبد والبعض الاخر من الكهنة قد اشتغل بامور الكتابة وتدوين السجلات.

وكان لكل معبد مجمع كهنوتي يشرف عليه اسمياً امير الاقليم او حاكم المنطقة التي يتواجد المعبد على أرضها والذي يلقب بالمشرف على الكهنة. وقد ظهرت الحاجة لوجود كادر كبير من الكهنة والمساعدين والموظفين نتيجة لكثرة المعابد.

اما بالنسبة لمهمة تعيين الكهنة فقد بقي مقصوراً على الملك لاسيما في عصر الدولة القديمة والوسطى اما بعد هذه الفترة فقد شكل الكهنة طبقة محدودة واصبحت هذه الوظيفة فيما بعد وراثية.

اما بالنسبة لأبناء الكهنة فكانوا عندما يتقدمون بطلب لوظيفة كهنوتية في معبد لم يكن عليهم الا ان يذكروا بانهم أبناء كهنة ليحصلوا على تلك الوظائف وان موافقة الملك ضرورية فقط لإصدار مرسوم ملكي يقضي بتعين هذا الكاهن او ذاك من كبار الكهنة او القيمين منهم على العبادات الكبرى وقد خول الملك وزيره بتعين الكهان ذوي المناصب الدنيا.

وهناك أساليب أخرى لتعين الكهنة منها بيع المناصب الكهنوتية او تأجيرها وهي عادة كانت مألوفة يمكن الاطلاع عليها من خلال الألقاب الكهنوتية التي كان يحملها الشخص الواحد في كثير من الأحيان.

ومما تقدم يتضح ان تدخل الملك في تعين الكهنة كان قليلاً جداً فان هذا الامر متروك لوزيره ولكبار الكهان مع انه يعمد احياناً (الملك) لتعين هذا الشخص او ذاك بصفة كاهن اما تكريماً له ومكافأة او انه يعمد الى اصدار اوامره لاسباب سياسية بعزل بعض الكهنة بقصد تقليل نفوذهم في الدولة اذا ما طغى على سلطة الملك. وبمرور الزمن ازداد عدد الكهنة وازداد نفوذهم وتدخلهم في سياسة الدولة.

وبهذا الشكل قد اتضحت العلاقة العكسية بين قوة سلطة الفرعون من جهة وقوة الكهنة من جهة اخرى في التاريخ المصري القديم ، فعندما تكون سلطة الملك قوية تضعف سلطة الكهنة اما عندما تكون السلطة ضعيفة فهنا تقوى سلطة ونفوذ الكهنة ، فان سلطة الكاهن الأكبر كانت في حالة تزايد

لنفوذها وفي نفس الوقت لم يكن الكهنة جميعاً يمتلكون حق التمتع بثروة معابدهم بل كان عدد المتمتعين بتلك الثروة قليلاً جداً.

اما بالنسبة لتدرج وظيفة الكهنة فكان يقع في أعلى مراتب الكهان هو رئيس الكهنة (الملك الأعظم) وهو اعلى جميع الكهنة مقاماً ويلقب بلقب (امير) وهو لقب كان حكراً على اولاد الملك في السلالة الرابعة وكذلك لقب رئيس " المرتلين " اما في السلالة الخامسة فقد ظهر بجانب الكهنة المرتلين (خريحاب).الذين كانوا يتولون قراءة التراتيل القديمة في الاحتفالات ممن كانوا يسمون بكتاب الكتاب المقدس ويعدون علماء الأدب القديم. وظهر الى جانبهم كهنة آخرون هم (افك نيسوت) أي مقدمو القرابين مع احتفاظ كبار كهنة " بتاح " باللقب نفسه فيما يتولى رئاستهم أحد الكهنة ويتم اختيارهم من بين كبار رجالات الدولة وخصوصاً رجال البلاط يليهم من حيث الرتبة الكهنة المطهرون المسؤولون عن إقامة الشعائر اليومية الذين كان لهم إدارة خاصة يرأسها أمير ويتم اختيار هؤلاء الكهنة من بين رجال القصر وكبار الكهنة في عهد الاسرة الرابعة. وهم مسؤولون أيضا عن اختيار سلامة الذبائح من الأمراض.

والذين اضيفت اليهم جماعة من كبار الموظفين في الأسرة الخامسة. وهناك الكهنة المعروفون باسم (حم كا) أي خدام الروح المادية الذين يقيمون الشعائر الملكية في القصر ومعابد الهرم الاخرى التي يوجد فيها مذبح الملك.

يتضح مما تقدم ما للكهنة من دور كبير في الدولة وما لهم من تأثير في نظام الحكم ويتضح هذا الدور والتأثير خصوصاً عند انتقال الحكم من الآسرة الرابعة إلى الخامسة وذلك من خلال القصة التي أحاكها كهنة (رع)

حول ميلاد أشخاص من صلب رع واعتلائهم عرش البلاد وبالفعل نجحوا بالوصول للسلطة بواسطة الدين الذي كان له اثر كبير في نفوس المصرين ولهذا السبب كان للدين أثره الواضح في نظام الحكم كما سنرى في نقل الحكم للأسرة الخامسة .

الدين وأثره في نظام الحكم :

ان للمعتقدات الدينية في مصر القديمة أثراً كبيراً في انتقال الحكم من أسرة الى أخرى وحدث هذا الأمر بشكل واضح عندما انتقل الحكم من الأسرة الرابعة الى الخامسة والذي كان بوساطة رجال الدين وهم كهنة (رع) اله الشمس ، ولهذا اصبح من الواجب علينا إعطاء نبذة عن الدين وأثره في مصر قديماً .

كانت عبادة الشمس من العبادات القديمة في الدولة منذ اقدم العصور وكانت هليوبوليس (عين شمس) مركزاً لعبادة الشمس ويستدل من تسمية هليوبوليس بـ(ايدنر) التي تعني البرج لصلتها بالشمس انه يوجد في هذا المكان برج يقوم كبار الكهنة من خلاله برصد نجم الشمس.

وقد جعل أصحاب هذه الديانة من الشمس (انوم رع). آلها للعالم فهو كل شيء في الوجود وأبو الإلهة جميعاً. وقد اعتقد المصريون القدماء بأنه يوجد عنصران ولدا من رع هما الماء والهواء فسمي الماء (تفتوت) والهواء (شو).

اذ ان شو يمثل الذكر ونفتوت الانثى وقد ولد من اتحادها (جب) الارض و(نوت) السماء. ثم نشأت منهم اربعة اولاد ذكور واناثاً مناصفة وهم : (اوزوريس) و(ايزيس) و(ست) و(نفتيس) هذا هو شكل الهرم الديني

الذي وجدناه في مصر ومن هذا الشكل تكونت لدى المصرين ووفق ممثليهم الدنيا.

ثم حصل نزاع بين كل من اوزوريس وست ونتيجة لهذا النزاع استولى اوزوريس على الشمال وست على الجنوب ثم طغى ست على اوزوريس فقتله وقام بعده ابنه فانتقم لابيه وطالب بعرشه حتى ال اليه الملك وبذلك جعلت اسطورة اوزوريس اول من حكم البلاد مجتمعة هو (موريس) ابن اوزوريس. وعندما انتقلت العاصمة الى منف ظهر معبودها (بتاح) الذي سمي ملك الارضين وجعل على راس المعبودات جميعاً اذ عده اصحابه انه خالق الارباب وان (اتوم) ما هو الا فكرة مرت بذهن بتاح وان حورس قلبه ونحوتي لسانه وكلمته وان هذه العناصر هي التي يتكون منها بتاح.

وتشير المعلومات في بردية (وستكار) قصة اولاد الكاهن الذي تكلم عنهم الساحر لخوفو بان كاهنا للإله الشمس في هليوبوليس (اوسرع) سينجب ثلاثة أبناء ويكون أكبرهم رئيسا للكهنة (رع) ثم يعتلي العرش وتلا عليه أسماء الملكين اللذين سوف يعتليان العرش بعده فافزع(خوفو) لذلك وكان الساحر من الأشخاص الأذكياء فذكر لخوفو بأنه سوف يعتلي العرش أولا ابنه وابن ابنه ثم يتولى الحكم بعدهم هؤلاء الملوك الذين سردهم للملك وسواء كانت هذه الرواية حقيقية اولا فهي توضح لنا كيفية انتقال العرش للأسرة الخامسة عن طريق عبادة (رع) وبالفعل فان اوسر كان قبل اعتلائه العرش كان كبير كهنة (رع).وهذا يعني ان هذه الديانة نشأت منذ العصور الأولى للدولة اذ نرى اسم رع جاء في تركيب أسماء ملوك الأسرة الثانية وهو

الملك (نب رع). وكذلك في معظم أسماء ملوك الأسرة الرابعة ويلاحظ ايضا ان " منكاورع " استحدث لقبا جديدا هو " سارع " أي ابن الشمس.

ويستدل أيضا من هذه القصة ان أصحاب (رع) رجوا بين الناس هذه النبوة عن ميلاد أشخاص من صلب " رع " حتى يصلوا الى العرش وبالفعل استطاعوا الوصول للعرش واصبح هذا المذهب " عبادة الشمس " "رع" هو الدين الرسمي للبلاد في أثناء الأسرة الخامسة.وقد اعتبروا ملوك هذه الأسرة أنفسهم أبناء " رع " وقدموا له القرابين.

اذ نرى جميع أسمائهم تحتوي على اسم " رع " وقبل هذا كان يلقب فرعون " بحوريس ".واضحى رب الأرباب هو رع وقد بدأ ملوك هذه الأسرة يتنافسون في إقامة العمائر الدينية للإله " رع ".اذ قام هؤلاء الملوك ببناء مبان خاصة لتكون هياكل للشمس أطلقوا عليها (معابد الشمس) وقد اختاروا منطقة " ابو صير " و " أبو غراب " لإنشاء هذه المباني.وتحتوي هذه المعابد على معبد صغير قرب الوادي وطريق صاعد يوصل الى ما يشبه الشكل الهرمي ومعبد جنائزي اذ تحتوي بهو المعبد على مسلة.

ونقشت على جدران المعبد قوارب كبيرة تشبه القوارب التي ترتحل في أعلى واسفل النيل يعتقد بان " رع " يبحر فيه نهارا واخر ليلا. يضاف الى ذلك ان القبر كان على شكل حجر يعرف عند المصريين (بن بن) ويعني المضيء المشع فهو يشبه الشكل الهرمي. وكان يتقدم المسلة من ناحيتها الشرقية مائدة متسعة من المرمر تقدم عليها القرابين ويتضمن المعبد موضعين آخرين لنحر الضحايا.

وبما ان الشمس كانت هي الرمز المادي للإله " الشمس ". لهذا عبد المصريون هذا الإله في فناء مكشوف لا يحجبه عن السماء سقف وهو ما يتناسب مع طبيعة هذا الإله المشع.ومن المعروف ان ستة ملوك من الاسرة الخامسة قاموا ببناء معابد للشمس وهم (اوسركاف) ، (ساحورع) ،(نفر اف رع) ، (ني اوسر رع) و (مكاوحور) ولكل منها اسمه مثل (سرور رع) و (افق رع) و (حقل رع) ولم يعثر الا على اثنين منها الاول (اوسركاف) والثاني (اوسر رع).

ومما تقدم يتضح ان لـ " رع " مكانه كبيرة وسطوة على " حورس " وليس أدل على ذلك وجود اسم " رع " في الكثير من نصوص الأهرام " هرم اوناس " اخر ملوك الأسرة الخامسة وقد ظل صدى هذه العبادة الى ما بعد هذه الأسرة فنرى ان " رع " يدخل في كثير من أسماء الآلهة المصرية في الدول الحديثة فمثلا " امون " على الرغم من كونه دينا رسميا في عهد الدولة الحديثة فانه أضيف اله اسم " رع " فاصبح " آمون رع ".فهذا يدل على مكانة الإله رع في نفوس المصريين من اقدم العصور الى نهايتها ، وان ما تقدم هو نبذة مختصرة عن ديانة الأسرة الخامسة وتأثير هذه الديانة في نظام الحكم فيها.

٥ ـ الحاشية الملكية ورجال البلاط

موظفو بيت المال :

اما بالنسبة للإدارة المالية في مصر القديمة فقد كانت تتكون من خزانة الدولة التي قسمت الى إدارتين وذلك نسبة الى قسمي مصر القبلي والبحري أي انه كان يوجد خزانة لمصر العليا وخزانة أخرى لمصر السفلى وقد أطلق

عليهما ببيت المال الأبيض وبيت المال الأحمر وبعد اتحاد شطري مصر اصبح يطلق عليهما (بيت المال الأبيض المزدوج) وقد احتفظ الاسم الجديد بذكرى الازدواج القديم.

لقد كانت خزانة الدولة تشرف على جميع المنتجات التي كان على البلاد تقديمها لـ (البيت العظيم) " بر-عو" الذي حول فيما بعد الى فرعون وكان يقصد به أولا القصر الملكي او الملك نفسه فمحصولات الحقول والبساتين كانت تجمع في الشؤون المزدوجة التي تتبع الخزانة المزدوجة ويشرف عليها موظف خاص هو "رئيس الشونة المزدوجة". وهناك أراضٍ يطلق عليها اسم " خنتيو- ش" وهي أراضي توجد بالقرب من الصحراء لا تصل اليها مياه الفيضان الا بشكل قليل وهذه الأراضي من أملاك التاج وكان يشرف عليها موظف مهم يبدو ان لوظيفته بعض الخطر على الدولة القديمة لأنها تقع ضمن حدود هذه الأراضي المقابر الملكية ومناطق الأهرام. وكانت هذه الأراضي يوقف للصرف عليها من أيراد محصولها وكانت معفاة من الضرائب وتستغل كمراعي أو حدائق للخضر لان مياه الري لم تكن تصل إليها دوماً. والبيت الأبيض المزدوج هو المصلحة الرئيسة لادارة المالية ويوجد أيضا ما يسمى بيت الذهب (برنوب). حيث يحزن احتياطي الذهب الحكومي.

ويلاحظ انه في عهد الأسرة الرابعة كان هناك موظفون في القصر الملكي يشغلون وظيفة بيت الذهب ويتضح مما تقدم ان بيت الذهب هو جزءاً من مصلحة خاصة بالقصر وفي عهد الأسرة الخامسة كان مدير البيت الأبيض المزدوج في الوقت نفسه (مديراً لبيت الذهب) ومن هذا يتضح ان الذهب كانت تزداد أهميته في عهد الأسرتين الرابعة والخامسة في تكوين مالية

الدولة. اما بالنسبة الى مصادر موارد بيت الذهب فكانت مما تجمعه الحكومة من استثمارات المناجم في مصر والنوبة ومن الجزية التي تدفعها البلدان المشمولة بحماية مصر.

ومن هنا يتضح مدى ثراء الدولة في عهد الأسرة الرابعة والخامسة والدليل على ذلك هو المباني الضخمة التي بنيت في مصر في تلك الفترة وهي (الأهرامات).

ـ موظفو الأشغال والمباني:

تمثل هذه المصلحة ما يقابل وزارة الأشغال (القديمة) او بعض اختصاصات وزارة الإسكان حالياً وكان لهذه المؤسسة أهميتها في عصر الأسرة الرابعة لاختصاصها ببناء المنشآت المختلفة وعلى رأسها المعابد والمقابر الملكية (الأهرامات) وكانت أعمال هذه المؤسسة تشمل إرسال البعثات الى مناطق المناجم والمحاجر في الصحراء الشرقية وشبه جزيرة سيناء.

وهناك أيضا إدارة تختص بالزراعة وهي تقابل وزارة الزراعة والري وكانت منقسمة على قسمين ويشرف عليها مدير يحمل لقب " رئيس كتاب الحقول " ويتبعها نوعان من الأراضي الأول : هي أراضي خصبة ممتدة على ضفاف النيل وتقسم على ضياع يشرف على كل ضيعة إدارة تسمى " بيت الزراعة " اما الثانية فهي الأراضي المجاورة للمقابر الملكية (الأهرام) التي تستخدم كمراعي كما ذكرنا سابقاً.

هذه هي أهم الإدارات الرئيسية في مصر القديمة وهناك إدارات أخرى تخص الجيش والقضاء وسوف نذكرها بشكل مختصر مما يتوفر لدينا من معلومات وفق ما حصلنا عليه من المصادر المختلفة .

تطور الوظائف (الألقاب ، الصفات , الواجبات) :

لقد كان النظام الإداري في الدولة القديمة بصفة عامة استمرار للنظام الثيني مع بعض التعديلات التي دعت إليها الضرورة والتطور مما أدى الى زيادة الموظفين وبخاصة الكتاب وكان المصريون ينظرون الى الكتاب نظرة تنطوي على الكثير من التقدير والدليل على ذلك انهم كانوا يطلقون على المدرسة اسم (بر- عنخ) أي (دار الحياة).

وقد كان الموظفون يقومون بمختلف الأعمال للدولة فكانوا في النصف الاول من الدولة القديمة بصفة خاصة بمثابة عمال للملك يعملون لحسابه الخاص ويتصرفون فيما يوكل إليهم من أعمال حسب ما تقتضيه اردته وتوحي أوامره وكانت الوظائف الكبيرة ميسرة لكل موظف متعلم وكان الملك يمنح الابن وظيفة أبيه في بعض الأحيان كمكافأة مما قدم من خدمات للدولة على ان الأبناء كانوا يبدءون حياتهم في وظائف اقل درجة بكثير من وظائف آبائهم ، بل كان بعض المنتمين للأسرة المالكة يبدأ حياته في وظيفة صغيرة وبذلك لم يكن من حق الابن ان يرث اباه.

وكان الموظف الإداري في حياته الإدارية يتقلد وظائف مختلفة متنقلاً من إدارة الى أخرى ماراً أحيانا في مختلف أنواعها حتى الوظائف المحلية منها فالشباب ذو الكفاءات او أبناء الذين يثق بهم الملك او يفضلهم على

سواهم كانوا يربون في البلاط الملكي وكانوا يتلقون التدريب الإداري في البلاط اذ كان الكتبة يقومون بتدريبهم ليكونوا موظفين أكفاء.

وفي أيام الأسرة الرابعة كما ذكر سابقاً ان الموظفين يعملون لحساب الملك الخاص ولا يطمعون فيما هو اكثر من ذلك وكانت تدفع لهم اعطياتهم (رواتبهم) عيناً وليس نقوداً أي أنها لم تعرف في ذلك الوقت. وانما تعطى لهم من منتجات الأملاك الملكية او من الضرائب ، وكان من بين عمال الملك عدد كبير من الخبازين وصانعي الجعة والنسابين والصناع اذ كان هؤلاء يعملون للبلاط فقط بل حتى للموظفين الذين كانوا يأكلون من مائدة الملك وكلما اظهر الموظف كفاية خاصة عهد أليه بأعمال أهم حتى يكون ذلك مشجعاً له للتفاني في إظهار كفايته.

وكان هؤلاء الموظفون يمنحون الأراضي ومن عليها من الفلاحين وكان من أهم أمنيات كل موظف كبير ان يمنح قبراً بالقرب من القبر الملكي وان يعد له تابوت وباب وهمي ومائدة قربان وان يمنح الأرض التي تقوم منتجاتها بتكاليف الطقوس التي تؤدي في مقبرته وقد كانت هذه الأراضي تعفى من الضرائب.

اما في النصف الثاني من الدولة القديمة بدأ كبار الموظفين يطمعون بتوريث مراكزهم لابنائهم فاصبح منصب الوزارة نفسه وراثياً في بعض الأسر وقد ازدادت الوظائف زيادة كبيرة وتبع ذلك زيادة الألقاب فاصبح لكل عمل يقوم به الموظف لقب خاص. مثل لقب " المشرف على الشونتين " و" المشرف على تزين الملك ". وغيرها وقد زاد ثراء الكثير من الموظفين من جراء إعطاء الملوك لهم

الهبات من الأراضي والضياع واصبح بإمكانهم إقامة مقابر خاصة لهم وبهذا ازدادت المصروفات على خزانة الدولة حتى انه لم يستطع بعض الملوك من بناء معابد للشمس وخاصة أثناء الأسرة السادسة ولم يستطع البعض الأخر من إقامة مقابر ضخمة كما فعل من سبقهم من الملوك. اما بالنسبة للرتب الوظيفية وألقاب الشرف التي كان يعهد بها الى كبار موظفي القصر فقد عثر عليها منقوشة على جدران مقابر هؤلاء الموظفين وقد ثبتوا درجاتهم الوظيفية في تلك النقوش وهذه الرتب والوظائف تختلف بعضها عن بعض بالنسبة لدرجة أهميتها.

وفيما يلي عرضاً لاهم الوظائف والألقاب الوظيفية وهي:-

1- ألقاب شرف وظهرت في بداية الدولة القديمة كانت لها وظائف حقيقة ثم بطل استعمالها مثل (السمير الوحيد) وخم برتو والمشرف على نخن وغيرها.
2- وهناك ألقاب تخص خدمة الملك الشخصية مثل (حامل النعل ، الغسال ، المشرف على التيجان ، حامل أختام الملك ، الرسول الخاص. وغيرهم من الموظفين .
3- وهناك ألقاب تخص الوظائف الدينية مثل (رئيس المرتلين للتعاويذ) ، والكاهن المكلف بتقديم القرابين والكاهن الجنائزي.
4- لقب الوزير ووجباته.
5- ألقاب تخص حكام المقاطعات مثل (حاكم المقاطعتين).
6- القضاء ومهامه .

وهناك لقب (كاتم الأسرار) الذي ربما يوحي بما يسمى " بإدارة الأمن ". وكذلك لقب " حامل أختام ملك الجنوب " و" حامل أختام ملك الشمال " اللذين يرأسان بيت المال المزدوج.

وعند نهاية الأسرة السادسة كان الملاكون والوريثون في مركز بحيث استطاعوا ان يتحملوا مسؤولية المحافظة على الحكم في مناطقهم فتحولت قصور إقطاعياتهم الى بلاطات ملكية صغيرة ، اما بالنسبة لصفات الموظف في الدولة القديمة فقد كان رجلاً صامتاً محترماً للسلطة القائمة وعادلاً لان " معت" التي تعني الحق والعدل والبر جزء من ذلك النظام الدنيوي في مصر قديماً.

٦ ـ وظائف عسكرية وقضائية

١ ـ رجال الجيش (تنظيمه ، اعطياته ، اقسامه) :

لم تكن مصر منذ عهودها الأولى بحاجة الى تنظيم جيش قائم كبير وذلك بسبب عزلتها عن العالم الخارجي وطبيعتها التي أصبحت حصناً لها من الأعداء فهي محاطة بالصحاري الكبيرة والبحار مثل البحر المتوسط وكانت جنادل النيل تقف حاجزاً أمام أي تحركات تهددها من الجنوب وعلى الرغم من هذا فكان للجيش أهمية بالنسبة لمصر اذ بدأ الاهتمام به منذ عصر الدولة القديمة أي منذ عهد زوسر .

كان الجيش في عهد الأسرتين الأولى والثانية على شكل فرق تتكون من شباب الأقاليم المصرية مهمتها الاشتراك في الحرب حتى اذا أتمت رسالتها سرح أفرادها ليعودوا لحياتهم الاعتيادية. اما في عصر الدولة القديمة فقد قسم زوسر البلاد الى مناطق لحمايتها اطلق عليها (أبواب

المملكة) جعل لكل منها حامية وحاكم بيده إدارة الشرطة ووضعت حاميات ثابتة للمحافظة على الحدود مرتبطة بحكام المقاطعات وشيدت لهم الحصون ولكل حصن إدارة عسكرية خاصة ، اذ لم يوجد في هذه الفترة هيئة عسكرية خاصة لتمثل جيشاً مركزياً ولم يوحد جنود دائمون ولهذا التجأ زوسر الى تكوين تلك الفرق او الحاميات.

وقد قسم الجيش في عصر الدولة القديمة الى ثلاث إدارات هي :-

1- إدارة بيت الأسلحـة
2- إدارة الغلال الحربية
3- إدارة مصانع بناء السفن للأسطول.

وكان الجيش يتألف من عدة " فيالق" ويطلق اسم (أمير الجند) على قائد كل فيلق وكلها تحت رئيس أعلى هو قائد الجيوش العامة الذي يعهد الى أحد أكابر موظفي الدولة.

وكان كل فيلق يتكون من عدة فرق يشرف على كل منها " رئيس فرقة ". وقد كان لقب قائد الجيش في الأصل لقباً إدارياً ، وقد استخدم الجيش أسلحة عديدة منها القوس والنشاب والحراب والسيوف الخشبية او العصي والحجارة والفؤوس. وقد اخذ المصريون بنظام إعطاء كل جندي عامل مساحة معينة من الأرض ليعيش هو وأسرته من ريعها وقد كان قواد الجيش والرؤساء العسكريون يتفرغون لأعمالهم الفنية والعسكرية اذ كانت مهمتهم الإسراع بتدريب الجند وتنظيم صفوفهم اذا ما تعرضت البلد للخطر ولقد سجل لنا هذا بإسهاب القائد " وني " من عصر الأسرة السادسة.

٧ ـ النظام القضائي :

لقد اهتم المصريون القدماء بالقضاء فكانت (ماعت) هي آلهة العدل وكان الملك هو القاضي الأول وتعد كلمته هي القانون وأمراء المقاطعات في السلالة الرابعة يحملون لقب قاضيٍ ونائب الملك منذ الأسرة الثالثة يرأس محكمة المقاطعة. وكان للوزير سلطة قضائية اذ لقب بلقب رئيس القاعة العظيمة فقد كان الوزير هو رئيس محكمة الستة العليا.

وان كلمة (ماعت) تمثل في معناها الحق والعدل وقد كان للأحداث السياسية التي مرت بها مصر قبل عملية توحيد البلاد والجهود الضخمة التي بذلت في سبيل تحقيق هذه العملية وما نتج عنها من توطيد اركان النظام السياسي في مصر أثرها البالغ في جعل كلمة (ماعت) ليست فقط تمثل العدل او الحق او الصدق وانما صارت تعبر عن النظام الخلقي الذي يسود العالم. ولهذا الأهمية الكبيرة للعدالة خصص المصريون ادارة خاصة بالقضاء اطلقوا عليها اسم (رُسخت) أي الادارة القضائية.

الموروث الحضاري للدولة الوسطى:

حكمت المملكة الاهناسية مصر حتى الإسرة العاشرة حيث حدثت ثورة على الحكم وتمكن "منتوحتب" توحيد البلاد وتوج ملكا على مصر العليا ومصر السلفى وكون الإسرة ١١ ونقلت العاصمة إلى طيبة، وبعد أن ضعفت الأسرة ١١ قام "امنمحات الأول" بتكوين الأسرة ١٢ ونقل مركز الحكم إلى اللشت وامتدت الدولة إلى شمال سوريا، ولكن السوريين استقلوا بعد ذلك عندما ضعفت الدولة المصرية في نهاية الأسرة ١٢، وبعد الأسرة ١٣ اغار

الهكسوس على شمال مصر وحكموه لمدة قرن ونصف أثناء حكم الأسرة ١٣ و١٤ واجبروا المصريين على دفع الجزية. ولكن المصريون أثناء حكم الدولة ١٧ استطاعوا اخراج الغزاة على يد الملك سكننرع وابنه كاموزا. وفيما يلى سنتحدث عن اهم ما تركته لنا الدولة الوسطى من حضارة

اولاً العمارة

لم تظهر المقابر الهرمية الكبيرة كتلك التي بناها ملوك الأسرة الرابعة في الدولة القديمة، إلا انه وجدت بعض المقابر الهرمة اقل حجما اثناء الأسرة ١٢، حيث وجدت اهرامات للملك "امنمحتب الأول" امنمحات الاول" وغيرها في كل من "اللشت" و "دهشور" وفي "هوارة" و "اللاهون"، كما كانت هناك مصطبات الأمراء حول الأهرامات، كما تم استخدام الطوب وكسي بطبقة من الحجارة في بناء هذه الأهرامات.

كما شاع تشييد المعابد للآلهة وأحيطت بالأعمدة المقتبسة من شكل النخيل بشكل شائع، ومن اشهرها معبد "متوحتب" وكانت تتقدم المعابد مسلة ذات قاعدة مربعة تضيق في الأعلى وتنتهي بشكل هرمي، وقد كانت من حجر واحد تنقش عليها اسماء الملك والقابه، ومن اشهرها مسلة الملك والتي تعد اقدم مسلة طوية عرفت في مصر، اذ عثر على مسلة قصير من الأسرة الخامسة.

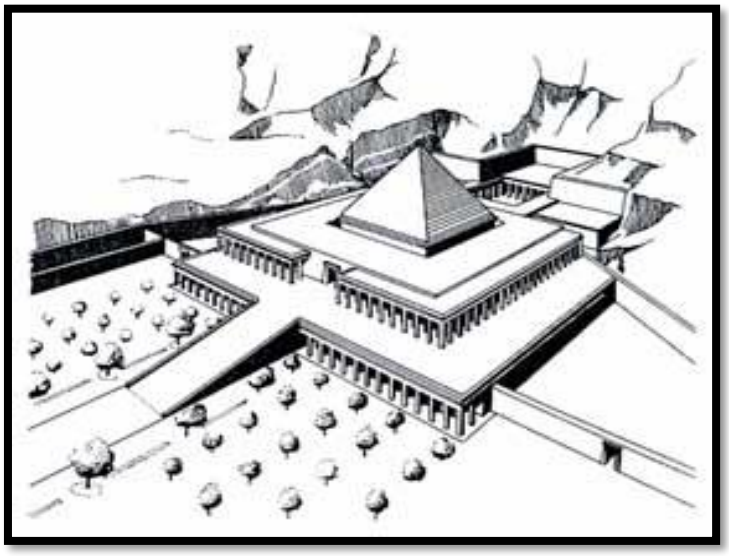

رسم تخطيطي لمقبرة الملك "متوحتب" الأسرة ١١ الدولة الوسطى

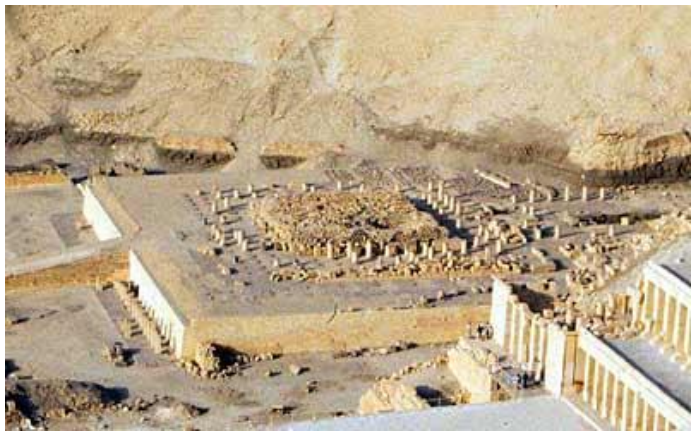

الأثار الباقية من معبد "متوحتب"

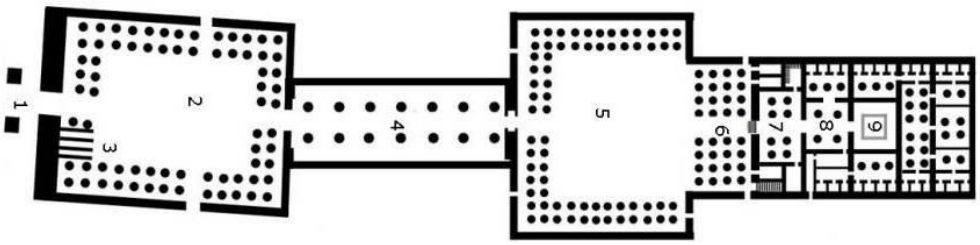

مخطط معبد الأقصر- الدولة الوسطى

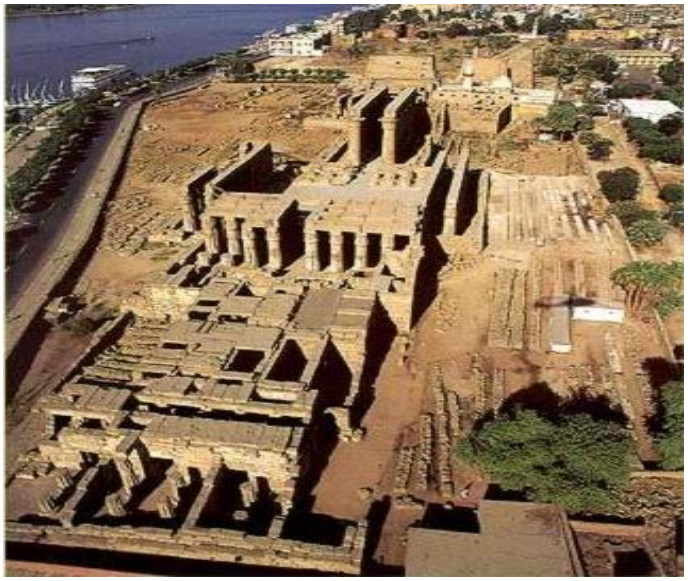

منظر يبين المعبد من الأعلى

ثانياً: النحت.

لم يتم العثور على نماذج كثيرة من النحت من الدولة الوسطى، ويبدو ان فن النحت لم يكن منتشرا في تلك الفترة، واحسن الأمثلة تمثال الملك "متوحتب" من الأسرة ١١ مرتديا تاج الشمال، وفي الأسرة ١٢ كانت التماثيل تبين الملك على هيئة انسان وليس إله حيث تظهر على الوجوه التجاعيد ومسحة من القلق محل الشعور بالثقة والهيبة التي بدت على تماثيل الدولة القديمة. وقد شاع نحت التماثيل الخشبية التي يمثل بعضها طبقة العمال واتباع صاحب المقبرة والتي بدأت في الأسرة السادسة، كما ظهرت في هذه الفترة تماثيل فخارية ملونة.

الملك متوحتب من الحجر الجيري الملون الأسرة ١١
الدولة الوسطى

تمثال أخر للملك متوحتب وهو واقف

تمثال لفتاة فوق رأسها سلة وبيدها بطة الأسرة ١٢
الدولة الوسطى

ثالثاً : التصوير.

ظهرت نماذج متقنة من الرسوم الجدارية في المقابر ونجح الفنان في تصوير الطبيعة، ومن اجمل النماذج في مقبرة الأمير "خمحت" والتي مثلت مجموعة من الطيور فوق شجرة السنط النامية على حافة بركة، وقد أبدع الفنان المصري في تمثيل الطيور وملامحها وهي تحط على اغصان الشجرة.

كما ان هناك نماذج للتصوير الجداري بينت تقدم الفنان في تلك الفترة في المنظور بحيث وضع الأشخاص على عدة خطوط متباعة على الأرض لإظهار العمق بدلا من وضعها على خط واحد.

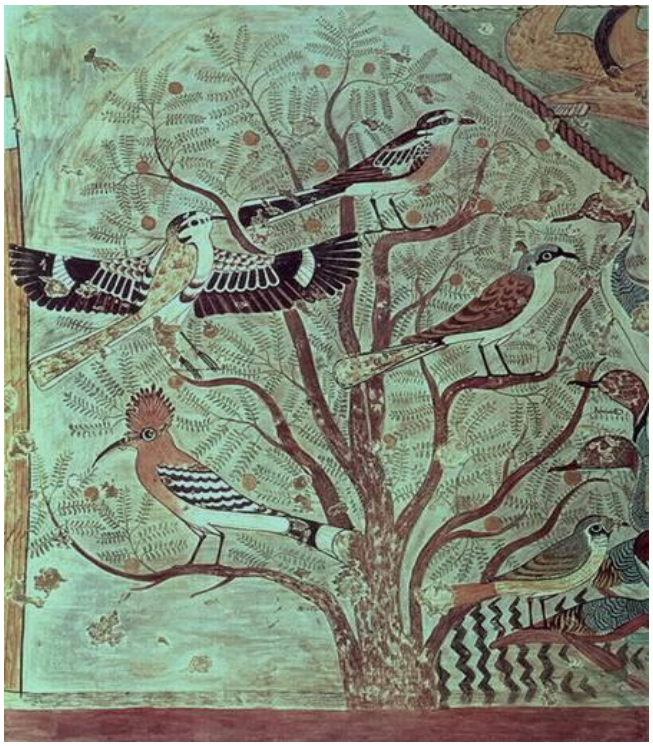

تصوير جداري يظهر فيه مجموعة من الطيور على شجرة السنط (١٩٢٠ق.م)

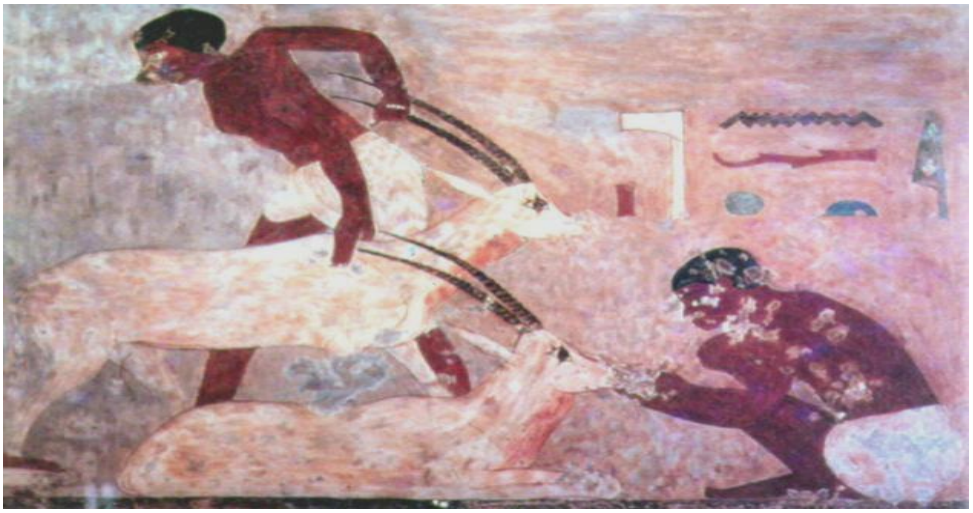

شخصان يطعمان حيوانين (١٩٢٠ق.م).

رابعاً الفنون الصغيرة:

تميزت الحلي الذهبية في هذه الفترة بدقتها وجودة صناعتها والتي كانت تطعم بالأحجار الكريمة. ومن اجود ما عثر عليه حلي الأميرة "خنمت" خلال الاسرة الحادية عشر.

تاجين يعود للأميرة خنمت مصنوع من الذهب ومطعم بالأحجار النصف كريمة

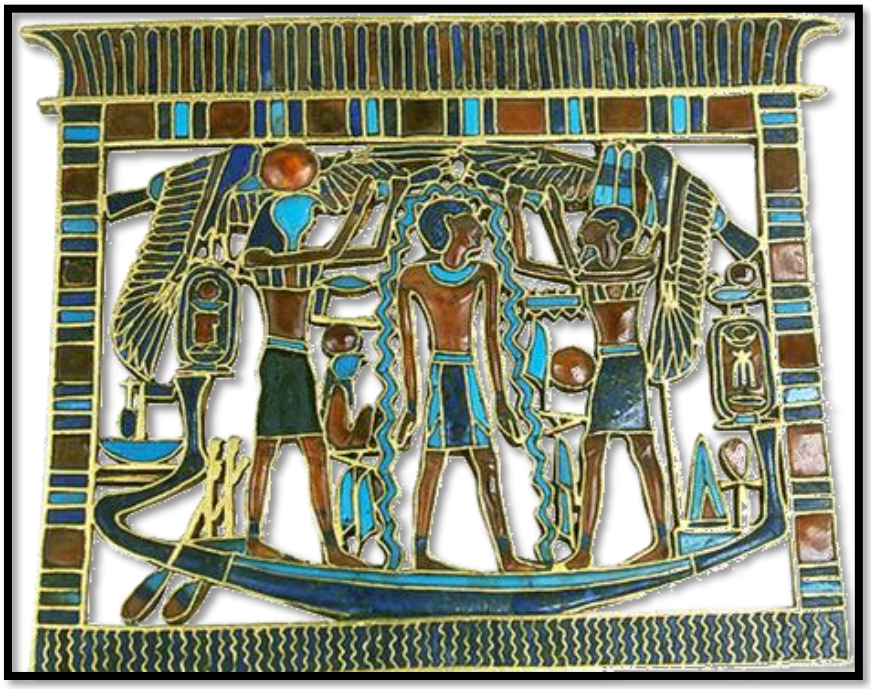

قلادة احدى الملكات من الدولة الوسطى

الادب فى الدولة الوسطى:

تشتهر الدولة الوسطى بقوة اساليب الادب فيها اذ يعد الأدب المصري القديم خلال الدولة الوسطى من أوائل الأدب العالمي , ومن اشهر ملاحم الادب في الدولة الوسطى قصة سنوهى وبطل هذه القصة مصريا من محيط العائلة الملكية ، وبعد موت أممنحات الأول ووصول سنوسرت الأول للعرش هرب سنوهى من غضب الملك باتجاه آسيا، وبعد فترة طويلة من التنقل، استقر عند أحد الأمراء السوريين، وأصبح الرجل الثاني بعد الأمير، وقام سنوهى بأعمال كثيرة للأمير، وانتصر في القتال على أحد الأشخاص الذي دعاه إلى المبارزة، وقام بأعمال كثيرة إلى وطنه الأصلي، فقدم نفسه على انه سفير مصر في الأراضي الآسيوية، وهذه الأعمال التي قام بها لم تذهب سدى، فقد تذكره

القصر الملكي ، وعلى الرغم من أنه قضى نصف حياته في المنفى، فقد ظل مصريا محبا لوطنه، وذلك لأسباب دينية، فلم يرغب أن يدفن في أرض أجنبية، بدون أن يقام له طقوس جنائزية مصرية من اجل الحصول على الحياة الأبدية، وتمكن من الحصول على عفو ملكي، فدعاه الفرعون للعودة إلى مصر. هذا النوع من الأدب يسمى أدب السير الذاتية.

تبدا الملحمة بالحديث عن الأمير الوديع الحاكم والآمر على أرض البدو، ويتحدث عن نفسه بأنه الصديق الوفي لسيده ، وخادم حريم الملك في القصر، ومن ثم يشيد بزوجات سنوسرت الأول في وابنه الملك أمنمحات الأول يصف سنوهى موت الفرعون أمنمحات فقال: في اليوم السابع من السنة الثلاثين من فصل الفيضان رفع الصقر إلى السماوات العلى ولحق بالكوكب واتصل بدنه ببارئه، وعم الحزن القلوب، وأغلق مدخل قصره، وأرسل عظمته جيشا بقيادة أبنه الأكبر سنوسرت إلى أرض التيمحو (الليبيين) لكي يقمع المتمردين في البلاد الأجنبية المتواجدين بين شعب التيمحو ، وعاد ومعه الأسرى من تلك البلاد وأعداد كبيرة من المواشي. وتوجهه أصدقاء من حاشية الملك إلى الجهة الغربية، لكي يخبروا سنوسرت عن موت أبيه، والتقوا به في الطريق، ونجده لم يتردد ولو لحظة واحدة فطار مثل الصقر وعاد إلى القصر ولم يخبر جيشه بذلك، وأطفال الملك المرافقين لسنوسرت في هذا الجيش دعوا واحدا منهم، وكان سنوin بالقرب منهم وسمع بما حدث. خاف سنوهي وارتجفت أعضاؤه وركض مسرعا للبحث عن مكان للاختباء فيه، والتجأ إلى الأدغال ليتجنب لقاء شخص كان يسير في الطريق، ومن ثم سار على الطريق باتجاه الجنوب، وحينها لم يفكر في العودة إلى

العاصمة، واعتقد أن الحرب الأهلية ستندلع ، وأنه لم يتوقع أن يظل على قيد الحياة بعد ذلك. وعبر بالقرب من شجرة التين ووصل إلى جزيرة سنفرو، وقضى هنالك طوال الوقت، وفيما بعد استمر في السير والتقى الرجل الذي أختبئ عنه وقدم لسنوهي التحية والاحترام، وعندما حان موعد العشاء وصل إلى مدينة جبيل ودفعته الرياح الغربية عبر الحدود، ووصل إلى شرق المحجرة.

وسار شمالا ووصل إلى أسوار الآمر الحاكم الذي شيدها لمنع تعديات البدو وليسحق أولئك الذين يتجولون على الرمال، واختبأ مرة أخرى في الأدغال عن حراس الأسوار، وظل يمشي ليلا حتى بزوغ الفجر وأثناء إقامته في الجزيرة السوداء العظيمة (تسمى البحيرة المرة في خليج السويس) كاد يختنق وحلقه يحترق من شدة العطش فقال سنوهي " هذا طعم الموت. وجمع كل قواه وعندها سمع أصوات الماشية وشاهد البدو، وعرفه زعيم البدو، لأنه زار مصر مرة واحدة، وقدم له الماء والحليب المغلي وذهب معه إلى قبيلته وتم استقباله بحفاوة. وأخذت كل بلد تسلمه إلى البلد الأخرى.

أخذ حاكم سوريا العليا سنوهى معه وقال له: "معي سيكون كل شيء على ما يرام، وسوف تسمع اللغة المصرية" وأخبره بذلك لأنه يعرف مكانة سنوهى في مصر، حيث أن المصريين المقيمين عند حاكم سوريا قد أخبروه عن مكانه سنوهى. وبدأ حاكم سوريا العليا يسأله: كيف وصل الأمر إلى ذلك؟ ماذا يعني ذلك؟ وهل حدث أمرا ما في القصر؟ فأجاب: ملك مصر العليا والسفلى أمنمحات صعد إلى السماء، ولا أحد يعرف ماذا حدث بعد ذلك، ثم قال سنوهى يجب أن أخفي الحقيقة.

عدت من الحملة العسكرية التي كانت ضد أرض التمحو، عندها قالوا لي، طار عقلي، وقلبي لم يعد في جسدي، هربت وأنا أركض بعيدا، ولا أعرف ما الذي قادني إلى هذا البلد. ماذا سيحدث الآن لأرض مصر بدون الملك، بدون هذا الإله الرحيم ، فالبلاد سيطر عليها الرعب مثلما حدث الأمر مع سخمت في أوقات الأوبئة. وأجابه سنوهى قائلا: حيث يعدد خصال سنوسرت ويصف شجاعته وقوته في القضاء على الأعداء. ومن ثم قال له حاكم سوريا العليا : حسنا بدون شك أن مصر سعيدة، لأنه يعلم أنه الملك وأنت ستبقى معي وسأكون رحيما معك.

لقد وضع حاكم سوريا العليا سنوهي مسئولا عن أطفاله ورفع من قدره وزوجه من أبنته الكبرى وسمح له أن يختار قطعة أرض على الحدود من بين أفضل الأراضي التي يمتلكها، ويصف سنوهي بقوله " كان إقليما طيبا أسمه يا، فيه أشجار التين، وفيه الأعناب وكان النبيذ فيه أكثر من الماء، كان عسله وفيرا وزيته كثيرا، وكانت كل الفواكه تحملها أشجاره، كان فيه الشعير والقمح وماشيته من جميع الأنواع، ولا يحصرها العد". ومنحني الكثير لأنه يحبني وجعلني زعيما على أحدى قبائل البلاد، وكل يوم قدم لي الطعام المكون من شراب الخمر واللحم المسلوق، الطيور المشوية، عدا عن طرائد الصحراء التي تم صيدها بالفخاخ ووضعت أمامي، بالإضافة إلى ذلك جلبت كلاب الصيد لي، وقدم لي الكثير من الحلوى.

وقضي سنوهى سنوات عديدة وكبر بنوه وأصبحوا زعماء لبعض العشائر، والرسل ذاهبين شمالا وجنوبا إلى العاصمة، وسمح لهم بالوقوف، وقدم الماء للعطشى، وأهدى الضال عن الطريق. وعندما جاء البدو اضطر

سنوهى أن يقدم لهم النصائح للرد على غارات حكام البلاد الأجنبية، وبفضل حاكم بلاد جبال سوريا وشمال فلسطين قضي سنوات عديدة كقائد لجيشه، وكل هجوم قام به انتصر فيه على أعدائه، وحرمهم من المراعي والآبار وسلب مواشيهم ، وطرد السكان واستولى على مؤنهم ، وقتل الناس بيده القوية وبقوسه. وشغل قلبه وأحبه لأنه علم كم كان شجاعا ووضعه مسئولا عن أطفاله وشاهد مدى قوة يداه.

يصف سنوهى هذه الحادثة بالتفصيل ، لقد تحداه رجل قوي من أهل البلاد ودعاه للنزال دون أن يكون هناك أي عداء، أو أن يكون بينهما أي صلة أو معرفة سايقة، وكانت نتيجة هذه الدعوة للقتال أن المنتصر منهما يستولي على كل أمتعة وأملاك الأخر، وبرغم حزن أمير سوريا وحزن جميع الناس لأن سنوهى كان في ذلك الوقت شيخا متقدما في السن، فإن التقاليد كانت أقوى من أن يعارضها إنسان. لقد تجمعت القبائل لمشاهدة هذه المبارزة، لقد استطاع سنوهى أن يقتل خصمه، حيث بدأ البطل الآخر يرميه بالسهام فاستطاع سنوهى أن يتفاداها ثم هجم عليه عدوه مرة أخرى، وعندما اقترب كل منهما من اللآخر هجم على سنوهى، ووجه له سنوهى ضربة واستقر السهم في عنقه، فصرخ ووقع على انفه فأجهز سنوهى عليه بفأس الحرب وصرخ صرخة النصر ووقف سنوهى على ظهره، وصرخ كل الآسيويين، ومن ثم قدم الشكر للإله مونت، وفي ذلك الوقت حزن الناس عليه، وضم حاكم سوريا سنوهى بين ذراعيه، ومن ثم أخذ كل ممتلكات وقطيع خصمه ونتيجة ذلك تضاعفت ثروة سنوهى.

وحن سنوهى بعد ذلك إلى العودة إلى مصر، ويطلب من ملك مصر أن يكون رحيما معه، وأن يسمح له مشاهدة المكان الذي نشأ فيه. ويصف سنوهى شيخوخته : " آخ جسدي يمكن أن يعود إليه الشباب مرة أخرى، لقد حلت بي الشيخوخة، فعيناي أصبحتا ثقيلتين، ويداي بلا قوة، وقدماه ترفضا المشي، وتعب قلبي واقتربت منيتي".

يصدر الملك سنوسرت مرسوما يأمر فيه عودة سنوهى إلى وطنه، ويذكره بأنه يجب أن يفكر في يوم منيته وما يجب أن يقام له من الطقوس الدينية ويقول له " سيكون لك موكب جنازة في يوم دفنك، وسيكون تابوتك من الذهب ورأسه من اللازورد، ستكون السماء فوق رأسك وستوضع فوق زحافة ستجرك الثيران، ويسير المغنون أمامك، وسيؤدون رقصة الموو عند باب قبرك ، وسيقرؤون لك ما تطلبه مائدة قرابينك، وستذبح لك الأضاحي أمام مذبحك، وستكون أعمدتك من الحجر الأبيض بين الأبناء الملكيين، وهكذا لن تموت في الخارج ولن يدفنك الأسيويون، ولن يضعوك في جلد شاة، فكر فيما يحدث لجثتك وعد إلى مصر. وعندما استلم سنوهى المرسوم حيث كان متواجدا بين قبيلته، وعندا قرأ ما في المرسوم سقط على الأرض ووضع المرسوم في صدره، ومشى في كل مكان يصرخ من الفرحة.

في البداية يمتدح الملك على السماح له بالعودة إلى مصر، ونراه في خطابه يعدد أسماء بعض الزعماء مثل مكي من كيديم، وحنتايش من حينتكيش، ومينس من فينخ، وأسماء هؤلاء الملوك معروفة جيدا فقد ترعرع حبهم للملك ، ويقول بأنه ليس هناك حاجة أن يذكر الملك ببلاد سوريا فهى خاضعة لك مثل كلبك. ترك سنوهى أولاده جميعا في رتنو ووزع عليهم كل

ثروته، وأصبح أبنه الأكبر زعيما للقبيلة، ومن ثم بدأ سنوهى عودته باتجاه الجنوب، وتوقف عند طريق الجبل، وأرسل رئيس فرقة حرس الحدود خبرا إلى العاصمة لكي يخبر صاحب الجلالة، وأمر جلالته بإحضار المسؤول عن الأراضي الملكية، وتبعتهم سفن محملة بالهدايا من الملك للبدو الذين رافقوا سنوهى إلى طريق الجبل، ودعوت كل واحدا بإسمه وقام الخدم بتنفيذ واجباتهم.

وفي أسلوب بليغ يصف سنوهى مقابلة الملك ويقول" دعوني في وقت مبكر، وجاء عشرة أشخاص أوصلوني إلى القصر، وقف أبناء الملك عند المدخل، وقادني كبار الشخصيات إلى قاعة العرش ووجدت صاحب الجلالة جالسا على عرشه الذهبي، وانبطحت على بطني، ورحب الملك به، وغادرت الروح جسدي، ولم يعد قلبي في صدري، وكنت بين الحياة والموت، وأمر جلالته أحد كبار الشخصيات أن يرفع سنوهى وينظر إلى الملك، وقال له: ها أنت قد عدت من البلاد الأجنبية وانشغلت بالترحال وتقدم بك السن، والأمر المهم كيف سيكون قبرك، ولن تدفن مثل رماة الرماح

وبعد مقابلة الملك أخذوه إلى منزل أحد الأمراء حيث أعدوا له حماما، وعطروه، وألبسوه أفخر أنواع الثياب، وكيف كان الخدم يلبون كل ما يطلبه أو يشير به، ويقول سنوهى وجعلوا السنين تغادر جسمي وانسلخت عني، وسرحوا شعري وألفوا إلى الصحراء بحمل من القاذورات، وألقوا بملابسي إلى ساكني الصحراء، وألبسوني أفخر الثياب وعطروني بأحسن العطور ونمت على سرير وتركت الرمال لمن هم فيها، وزيت الخشب لمن يلطخ نفسه به"

التحنيط

يطلق على العملية التي جرت في مصر القديمة بداية عهد الأسرات والتي تستهدف المحافظة على جسم الميت بالتحنيط . فيما يطلق على الجثة التي تمت معالجتها بالتحنيط بالمومياء , وهي لفظة مشتقة من كلمة " Mum " وهي مادة مكلفة تستعمل في عملية التحنيط , وهذه المادة كانت من أكثر العقاقير شيوعاً في مجالات الأدوية ، وراجت تجارتها؛ لأهميتها في تجفيف الجثث المراد تحنيطها.

أما عن اسباب نشوء التحنيط ، أو الهدف منه ، فتعود الى جملة من العقائد المصرية القديمة . فقد ساد الاعتقاد في مصر القديمة بإنَّ الروح تحيى بجوار الجثة في القبر ، مما أوحى بالإجراءات اللازمة لحماية الجسم من خلال التحنيط الذي يقصد منه جعل الجثة غير قابلة للفساد ولأنَّ الأخير يؤدي الى ابادة الروح التي يجب عليها أن تعود إلى الجسد من جديد، كي تتغذى على القرابين المقدمة للميت.

فقد أمن المصريون بأنَّ الروح تفترق عن الجسد ، فتكون على هيئة طير ، إلاَّ أنها تغادر هذه الهيئة لتعود الى الجسم القديم الذي إذا سمح له

بالتفسخ فإنَّ الروح لا يمكن لها العودة اليه مطلقاً ، فأصبح التحنيط ضرورة لإنقاذ الجسد الميت من التلف ، وبالتالي تسهيل عودة الروح اليه.

وكذلك اعتقد المصريون القدماء بإنَّ بقاء الروح " الكا " متمتعة بالحياة يتطلب شروط معينة ، لذا اتخذوا وسائل عدة لتسهيل هذه المهمة ، فاقتضى الأمر حفظ الجسد بالتحنيط حتى تحل فيه الروح عندما تريد أي أن يتم تشجيع الروح لتعود إلى الجثة ، والتلبس بها .

واعتقد المصريون القدماء أن التحنيط يحفظ قوة الحياة ، لاسيما بعد منح الجسم القوة الحيوية ، كإمكانية الكلام ، والاشارة بعد التحنيط فقد امنوا بعدم امكانية حياة الروح إلى ما لا نهاية دون المحافظة على الجسد الذي ركزوا على المحافظة على شكله الخارجي، ليتمتع به صاحبه أثناء خلوده في عالم الموتى .

وفيما يتصل بالفرعون فقد آمن الناس أن من مصلحتهم بقاء الميت العظيم (الفرعون) حياً ، لأنه ما دام حياً لن يعانوا أبداً من مشكلة نقص الطعام ، فهم يعدون الفرعون المسؤول عن زيادة الحاصل الذي يزرعونه ،

ويحرصون على زيادته ، وعليه فإن دوام حياة جثة الفرعون تؤدي المصلحة نفسها لهم ، لذا فإنهم كانوا مع تحنيطها ، وابقاءها حية بواسطة التحنيط.

ولم يبتعد خيال المصري القديم في تبرير التحنيط عن الآلهة ، بل ربط التحنيط بأوزيريس من خلال القول بأنَّ التحنيط جاء على الصورة التي يظن أن جسد أوزيريس قد تم تحنيطه على وفقها بالتعاون بين ايزيس وانوبيس.

فتخيل المصريون بأن للتحنيط راعيٌ قادرٌ على حفظ جثث الموتى وحاميٌ للجبانات ممثلاً "بأنوبيس" وانتشر الايمان بذلك من طائفة إلى أخرى حتى أصبح الجميع يتوجهون إليه بدعواتهم الأخروية فقد عدوه رباً للتحنيط ، بارعاً فيه ، ورمزوا إليه بهيئة ابن آوى ، الذي ساعد ايزيس في تحنيط اوزيريس ، فجعل إلهاً للتحنيط مكافأة على عمله، وبالنتيجة أسند المصريون فن التحنيط إلى براعة الإله "انوبيس" ، وقد دل على ذلك براعته في تحنيط جثة اوزيريس .

ومن كل ما تقدم من العقائد التي يكمل بعضها بعضاً يتضح انها تركز على فكرة واحدة تقريباً هي : فكرة الخلود فإنَّ التحنيط لم يدخل حيز التطبيق إلا في عهد الأسرة الثالثة. إذ لم يظهر دليل على محاولة الحفاظ على جثث

الموتى بالتحنيط في عصور ما قبل التاريخ سوى ما ظهر في بداية العصر التاريخي من انتشار استعمال التوابيت التي تحللت فيها أجساد الموتى ، حتى أدرك المصريون حقيقة أنهم لن يستطيعوا مقاومة الفناء ، لذا عمدوا إلى محاولة حفظ أجسادهم بطريقة صناعية بعد أن ثبت لهم فشل حماية التوابيت لأجسادهم ، وعدم بقاء شيء مما دفنوه في رمال الصحراء ، إلاَّ الهياكل العظيمة.

لذا دخل التحنيط حيز التطبيق في عهد الأسرة الثالثة التي شهدت – أيضاً– دخول عبارة الشمس ، واستعمال الحجر في اقامة الأبنية الضخمة ، وتشييد الأهرام للملوك ، والمصاطب لكبار النبلاء في البلاد إذ أنَّ أقدم مومياء مكتشفة تعود إلى الأسرة الثالثة التي دلت القبور فيها على أن المصريين كانوا يعمدون الى نزع الجلد ، وتجريد العظام من اللحم ، ثم لف الأعضاء منفصلة ملفوفة بلفائف من الكتان ، ومضمومة الى بعضها ، ثم يتم لف الجسم بالكامل ، ليدفن . وفي تلك المدة عرف المصريون طريقة التحنيط بالطرق الكيمياوية التي تم بواسطتها اخراج الأمعاء والحوايا التي تم حفظها ببعض المواد الكيمياوية ، ومنها النطرون والقار. بعد أن كانت

الطريقة اللازمة لتجفيف الجثة تتم بملامستها رمال الصحراء التي كانت كافية لإحداث التجفيف الذي يحفظ الرفات البشرية، ثم يلفونها بجلود بعض الحيوانات، أو بحصران القصب ، ثم يدفنونها.

وعليه تمت أول محاولات التحنيط في العصر " الثيني " بوضع النطرون على الجثث وهي محبوكة في الاكفان التي يتم لفها بأربطة مشبعة بالراتنج ، ثم تطورت الطريقة بعد ترسخ العقائد الخاصة باوزيريس ، ونضوج محاولات المصريين ، وتجاربهم في فن التحنيط. فأخذ المحنطون يرفعون الأحشاء الداخلية للجثة ، ثم يجففون تلك الأحشاء بالشمس ، أو يملحونها ، ويربطونها ، لاسيما أجسام الملوك في عهد الأسرة الثالثة على الأرجح .

فقد أخذ المحنطون يتفننون بالتحنيط ، واجراء أحسن العمليات. فملؤا التجويف بالتوابل والراتنج ، ولفوا الجثة بالكتان الرقيق . فيما وضعوا أحياناً قناعاً جصياً مذهباً فوق الوجه ، ثم وضعوا المومياء كلها في تابوت خشبي على شكل صندوق ، وحنطوا الأعضاء الداخلية كلاً على حدة ، ولفوها بالكتان ، ووزعوها على أربعة أواني تسمى الأواني الكانوبية التي توضع في صندوق الى جانب التابوت في غرفة الدفن .

وبغية تعويض أكثر الأجزاء أهمية من الجسد وهو الرأس ظهرت عادة في مصر القديمة منذ أيام الأسرة الرابعة تقضي بأن يدفن مع المتوفى رأس بديل يماثل صورة وجهه منحوت من الحجر.

أما أهم المراحل التي تمر بها الجثة في عصر الدولة الوسطى ، فهي : غسل الجثة، وتطهيرها ، وهذا ما يتطلب وقتاً قصيراً ، ثم يبدأ التحنيط الذي يحتاج لوقت أطول على الرغم من أنه لم يكن كامل الاتقان إذ يتم إزالة الاعضاء الداخلية بما فيها المخ ، ثم تحفظ هي والجسم بالجير الحي أو بنقعها في الملح فتستمر العملية سبعين يوماً قبل تسليم مومياء المتوفى الى أقاربه بعد أن تمت عملية التحنيط بشكل جيد ، ووضعت باقي الأعضاء المستخرجة من الجسد في جرار خاصة لترافقه في القبر.

ومع كل ذلك الجهد والعناية ، بقيت مومياءات الدولة الوسطى دائماً هشة ، رغم المعالجة ، بالراتج ، والعطور ، والتوابل الغالية الثمن ، والمقصورة على كبار شخصيات البلاد .

أما وضع اليدين بعد عملية التحنيط فقد اتخذ اشكال عدة فتارة تغطيان العضو التناسلي، وتارة اخرى تمتدان على طول المومياء ، واحياناً تعقدان على الصدر .

وفي عهد الدولة الحديثة تدفقت الأفاويه ، والعطور الأسيوية إلى السوق المصرية، فظهرت المومياءات الجميلة التي لا تبلى ، والتي لم يكد لحمها ينكمش ، ولم يسود جلدها إلا بمقدار بسيط وطليت باللون الأخضر دلالة على الحياة.

فتقدم التحنيط في هذا الوقت تقدماً كبيراً ، يفوق التقدم الذي تحقق في الدولة الوسطى من أنواع عدة منها : ما يتصل بالأواني الكانوبية التي أصبحت أغطيتها تمثل أولاد حورس الأربعة وهم آلهة الجهات الأربع الأصلية . فاتخذت شكل رأس بشري ، ورأس قردة ، ورأس ابن آوى ، ورأس صقر ، لذا كانت الأحشاء الداخلية للمتوفى المحفوظة في تلك الأواني في حماية ايزيس ، ونفتيس ، ونبت ، وسلكت.

وتزايد ظهور التماثيل الصغيرة التي تمثل في الأصل الميت نفسه ، واندمجت مع تماثيل الخدم ، وأصبحت تسمى " الأوشابتي " ، ويكتب عليها

اسم صاحبها( ) ، وقد تمت تغطية هذه التماثيل القصيرة بطبقة مزججة زرقاء لامعة جميلة ، فيما كتبت عليها كتابات سوداء عمودية من الأمام.

وفي عهد الأسرة الحادية والعشرين ظهرت طريقة تحشية الجثث ، فاستعمل المحنطون نشارة الخشب والطين لهذا الغرض، وهي طريقة شاعت فقط لمعالجة جثث كبار رجال البلاد من أصحاب المراكز العالية ، بهدف اظهار المومياء الخاصة بهم بمظهر الشخص الحي من خلال حشو الوجنات وغيرها من أجزاء الوجه بالطين الذي يدفع الى الداخل من فتحات تعمل في الجلد ، وقد رافق ذلك طلاء وجه الميت بالألوان ، كما شاع وضع التمائم على الجثة .

هذا وقد ترك لنا هيردوتس وديودورس الصقلي تفاصيل عن طرق التحنيط التي مورست في مصر القديمة من حيث الأثمان والطقوس ومدتها.

فللتحنيط ثلاث درجات أو طرق من حيث الأثمان والتعقيد ، كان أكثرها كلفة يكلف أهل المتوفى ثلاث وزنات فضة ، أي ما يقارب ٥,٥٠٠ فرنك

( ) المصدر نفسه ، ص٢٧٤ . ٢

ذهب أو مائتان وخمسون دينار ، وكانت الثانية تكلف نحو ستين دينار ، فيما كانت الثالثة ذات نفقات أقل بكثير تتناسب مع بساطة طقوسها.

وتتلخص الطريقة الأكثر تعقيداً بأن يحضر المحنطون المعروفون بالمهارة والاختصاص الى بيت المتوفى بعد استدعاء أقربائه لهم ، فيستلمون جثة المتوفى ويضعونها على منضدة ، ثم ينقلونها الى موضع عملهم الذي كان عبارة عن خيمة تسمى مكان التطهير، أو المنزل الطيب . حيث تجرى على الجثة فعاليات عدة تصل إلى سبعين يوماً يتم فيها تقليد اسلوب المعالجة التي تلقاها اوزيريس ، وعليه يصبح الشخص المتوفى خلال ذلك أوزيريس اذ يلقب الميت بالاوزيريس ، فيقال الأوزيريس فلان ، وهذا شمل الملوك فقط في الدولة القديمة ، إلاَّ أنه عم تدريجياً فيما بعد حتى شمل جميع الموتى.

وخلال عملية التحنيط كان المحنطون يشخصون الآلهة التي شاركت في تحنيط جثة أوزيريس ، فكان كبيرهم هو الإله " انوبيس " بينما كان مساعدوه يوجدون مع أبناء حورس، ومع الإله " خنت ختاي " . أما كاهن الخدمة والكاهن المرتل فكانوا يعيدون قراءة التعليمات للمحنطين ، ويرددون

الرقى المناسبة ، لاسيما وإنَّ اجراءات التحنيط تبدأ بغسل الجثة بماء النيل ، ونثر البخور عليها ، وتطهيرها من قبل كاهن اسمه " سم " ، وذبح الثور قرباناً. وفي غضون ذلك ينشغل أهل المتوفى باحضار المواد التي طلبها المحنطون مما يتصل بالأثاث الجنائزي.

يلي ذلك اخراج المخ بواسطة خطاف من الحديد يتم ادخاله الى المخ من فتحة الأنف، فيتم اخراج المخ قطعة قطعة. واذا ما تعقد ذلك فإنَّه يتم استخراج المخ بواسطة عقاقير كاويةثم ظهرت طريقة جديدة لاستخراج المخ تتم بإدخال خطاف حديدي عبر فتحة في الجمجمة ولكنها لا تبدأ بالأنف وإنما في العنق عن طريق احداث فتحة في الاخير ، للوصول إلى المخ لاستخراجه.

وبعد اتمام استخراج المخ تحول الجثة لكاهن معني فقط بشق بطنها مستعملاً في ذلك سكيناً حجرية تسمى بالحجر الجبسي ، وما ان يتم ذلك حتى يرمي الكاهن تلك السكين ، ويفر هارباً. وهو ما يمكن تفسيره بالخوف والهيبة من فتح الجسم الانساني أما استعمال الحجر فيبدو أنه لتجاوز إصابة الجثة بنجاسة السكين المعدنية.

أما عن هروب الكاهن المعني، وإنه يهرول ومن ورائه اقارب الميت ورميه بالحجارة، لاعتقادهم بأنه مذنب بجرم شنيع وكريه ، لأنه جرح الجسد ، وأفصح عن عنفه نحوه، فهو كلام لا يمكن قبوله لأنَّ أهل المتوفى يتركون المتوفى في عهدة المحنطين منذ لحظة استلام جثته من قبل المحنطين ولأن المحنطين يحظون باحترام عالي بين المصريين القدماء .

وبعد فتح بطن المتوفى تبدأ عملية استخراج الأحشاء الداخلية ، عدا القلب ، حيث يدخل أحد المحنطين يده في صدر المتوفى وبطنه ، لاستخراج الأحشاء الداخلية، يلي ذلك قيام كاهن أخر بتنظيف ، وتطهير هذه الأحشاء ، وغسلها بمحلول من الشراب والعطور.

يلي ذلك تتبيل الجثة ، وتحشيتها بالمر والقرفة ، ومواد عطرية أخرى، ولكن يستثنى من ذلك البخور ، ثم يخيطون الجسم ، ويتركونه منقوعاً مدة سبعين يوماً في محلول ملح النطرون ، ثم انهم يغسلونه بعد ذلك ، ويدهنونه بمراهم وزيوت معينة ، ثم يعرضونه على أقاربه عندها يبدأ تحديد موعد اقامة الطقوس الجنائزية، تمهيداً لدفن الجثة ، ولكن بعد ان يتم تلوين الوجه ، والشفاه ، والأظافر ، وراحات اليدين ، وباطن القدمين.

بعد ذلك يبدأ المختصون بالتكفين بلف الجثة بلفائف من القطن أو الكتان ، ولصقها باللبان ، مع دس الأفاويه خلال عملية اللف بين اللفائف ، ثم يعاد الميت الى أقاربه الذين يضعونه في تابوت خشبي يشبه جسم الإنسان . وتستعمل خلال عملية التحنيط مواد كثيرة، أهمها : خمس عشرة مادة ، هي : شمع النحل لتغطية أذان وعيون الميت، وفتحة أنفه، والفم، والشق الذي أجراه الجراح في بطن الميت ، والخيار ، والدارسين ، وزيت خشب الأرز ، وهو في الحقيقة الزيت الناتج من شجر العرعر ، والصمغ ، والحناء ، وثمار العرعر، والبصل ، ونبيذ النخيل (عرق البلح) فضلاً عن أنواع من المواد الراتنجية ، ونشارة الخشب، والقار ، والقطران ، والنطرون الذي يتوفر في الوادي ، والملاحات الموجودة غرب الفيوم .

وقد اعتقد المصريون القدماء أن هذه المواد هي نتاج دموع الآلهة التي تساقطت على الأرض عندما بكوا على موت " اوزيريس " . وهي تحيي جسد الميت المحتفظ بقوى هذه الآلهة على الرغم من أن هذا الجسد لا يبقى منه بعد انقضاء السبعين يوماً إلا الجلد والعظم .

فبعد انتهاء التحنيط يصبح الجسد هيكلاً عظمياً مكسواً بجلد أصفر اللون رغم احتفاظ الوجه بشكله الأصلي ، ويمكن التعرف عليه رغم أنَّ الخدود غائرة ، والشفاه تكون دقيقة .

يلي ذلك اكساء المومياء بالملابس ، وتزيينها بالحلي ، فتعلق بها العقود والقلائد والتمائم، لاسيما قرب القلب ، وتوضع الأساور والكفوف ، والصنادل ، والخواتم .

فقد كان من عادة المصريين القدماء دفن مقدار كبير من المجوهرات مع موتاهم كي تتمتع بها ارواح الموتى كما كانوا يعتقدون .

وكانت توضع صفحة سميكة من الذهب على هيئة ورقة في موضع الجرح الذي استخرجت منه الأحشاء الداخلية ، ورسمت على هذه الورقة عين لأن خاصيتها هي شفاء الجروح ، وكان الميت يزود بكتاب الموتى الذي يوضع بين ساقيه ، ليكون له مرشداً في الآخرة . وكان يتم يلف الجسد والأعضاء الخاصة به بلفائف من الكتان ، ثم يقنع بقناع مصنوع من الذهب مربوط بخيوط إلى ثياب المتوفى من الملوك ، أما العامة فقد قنعت

مومیائاتهم بقناع من القماش ومن خليط المرمر المسحوق ، والجير ثم يتم لف الجثة بأكملها بكفن يثبت بواسطة شرائط متوازية .

أما المنضدة التي حنط عليها الميت والبقايا الناتجة عن عملية التحنيط فقد حرص المصريون على دفنها قرب المقبرة ، لأنها تحتوي على بعض أنسجة الميت ، وليكون جسد الميت كاملاً غير منقوص في العالم الآخر في الوقت نفسه الذي لم يسمحوا بدفنها داخل المقبرة ، لأنها تفتقر إلى الطهارة الطقسية ، ولأنها ببقائها خارج القبر ولكن على مقربة منه تحول دون تمكن أعداء المتوفى من الحصول على أجزاء من جسده خشية استعمالها لغرض سحري شرير ، أو لإنزال الأذى به .

إنَّ ما تقدم يمثل الطريقة المكلفة التي مورست على جثث الملوك والأثرياء في مصر، أما الطريقة الأقل كلفة وتعقيداً فتتم بإزالة الأحشاء الداخلية للجسم بتمديد جثة المتوفى في محلول ملحي مدة سبعين يوماً وتبلغ كلفة هذه الطريقة نصف كلفة الطريقة الأولى ، وهنالك طريقة تتمثل بحقن الجسم من خلال الأوردة الدموية بمادة قوية محافظة ، ثم يوضع الجسم في محلول ملحي مدة سبعين يوماً فيما تغسل الأجزاء الداخلية بزيت النخيل،

وتجفف بالأعشاب، ثم توضع هذه الأجزاء في أربع أوانٍ ، تحتوي الأولى على القلب ، والأخرى على الكبد ، فيما تحتوي الآنيتين الأخيرتين على باقي الاعضاء ، بسبب الاعتقاد بان ذلك الحفظ يحميها من الإحساس بألم الجوع والعطش.

هذا وتنقش سطوح هذه الأواني وتهدى للآلهة وتدفن مع الجثة التي توضع التمائم حول عنقها ، إضافة الى التماثيل التي تساعد الميت في العالم السفلي ، وحجارة حمراء كان المصريون يعدونها مفتاح للحياة مع أصابع صناعية متوسطة الحجم تمثل اصبعي حورس لمساعدة الميت.

وفيما كانت عملية التحنيط تتم من قبل المحنطين بطلب من ذوي المتوفى فإنَّ جثة الغريب ، أو الجثة الطافية في النهر ، أو جثة أيِّ انسان مقتول من قبل حيوان كانت تحظى باحترام وتبجيل بين المصريين ، لاسيما أبناء المدينة أو القرية التي تكتشف تلك الجثة بالقرب منها ، فيتم تحنيطها واحراقها في مكان مقدس وكأنها جثة إله.

وعلى أثر إتمام عملية التحنيط التي كان لها أثر فاعل في تطور التشريح والطب في مصر كان يتم تجهيز الميت بكامل جهازه ، ويوضع في

تابوت مزخرف مليء بالأدعية السحرية ، بعد أن كان ذلك التابوت لا يتألف أكثر من حصير ، أو جلد ، أو نسيج تطور إلى السلة التي تطورت بدورها إلى الصناديق الخشبية في عهد الأسرة الأولى ليتطور في عهد الأسرتين الثالثة والرابعة من ناحية الصنع والزخرفة ، فظهر كأنَّه بيت للسكن ذو باب وشبابيك وستائر ، ثم التفنن بها منذ عهد الأسرة السادسة وحتى الأسرة الثانية عشرة من ناحية الصناعة من الأخشاب الثمينة كخشب الأرز ، وزخرفتها بأسماء أصحابها ، والأدعية والصلوات للآلهة والأموات ولأولاد حورس بحقول متوازية منتظمة ورسمت فيها خارطة وتعاويذ سحرية لإرشاد الميت في العالم السفلي.

ومن الجدير بالذكر أنَّ التحنيط لم يقتصر على الجثث البشرية ، بل تعداه إلى الحيوانات المقدسة ذات الصلة بمعتقدات المصريين الدينية القديمة ، كالقطط ، والكباش، والثيران ، والعجول ، والتماسيح ، فتم استعمال الطرق نفسها التي استعملت لتحنيط البشر.

وعمدوا إلى دفن هذه الحيوانات المقدسة ، فخصصوا لها جبانات لدفنها لاسيما العجل "ابيس" ، والعجل " منفيس " ، وكبش " منديس " فالعجل " ابيس " يحنط كما يحنط الإنسان تماماً وتشيع جنازته باحتفال كبير.

مراجع :

- أحمد أمين سليم: العصور الحجرية وما قبل الأسرات فى مصر والشرق الأدنى القديم , دار المعرفة الجامعية , الإسكندرية , ٢٠٠٠.
- _____: "الدلالة التعبيرية للرسوم والنقوش خلال عصور ما قبل التاريخ فى الشرق القديم" , منشورات مكتبة الإسكندرية (مؤتمر المخربشات بمكتبة الإسكندرية –الفن مرآة المجتمع في العصور الحجرية) , ٢٠٠٧.
- أحمد محمود صابون: مجموعة الملوك المسماة "سوبك حتب" فى الأسرة الثالثة عشرة , دار المعرفة الجامعية , الإسكندرية, ٢٠٠٠.
- أمين محمود عبد الله: تطور التقسيم الإدارة في مصر العليا :منذ فجر التاريخ إلى نهاية القرن العشرين ، القاهرة ،١٩٩٦.
- إيناس مصطفى عبد المحسن: التنبؤ بالغيب فى (مصر الفرعونية – العراق – سوريا– الجزيرة العربية) دراسة مقارنة , رسالة دكتوراه غير منشوره , كلية الآداب, جامعة الإسكندرية , ٢٠٠٦.

- بهاء الدين إبراهيم محمود: المعبد في الدولة الحديثة في مصر الفرعونية" تنظيمه الإداري ودوره السياسي" , الهيئة المصرية العامة للكتاب ,القاهرة, ٢٠٠١.
- جلال أحمد أبو بكر: فنون صغرى فرعونية , مكتبة الانجلو المصرية , القاهرة , ٢٠١٣.
- حسن محمد محى الدين: حكام الأقاليم فى مصر الفرعونية , دار المعرفة الجامعية , الإسكندرية , ١٩٩١.
- خالد أحمد حمزة: مخازن الغلال فى مصر القديمة, عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية , القاهرة, ٢٠٠٧.
- خالد محمد الطلى: "الحرب الأهلية خلال عصر الأسرة الأولى والثانية مظاهرها الدينية ودوافعها السياسية والاقتصادية" , مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب , العدد الحادى عشر , ٢٠١٠, ص٥٤-٧٣.
- رمضان عبده على: حضارة مصر القديمة منذ أقدم العصور حتى نهاية عصر الأسرات الوطنية , ج١, وزراة الثقافة المجلس الأعلى للآثار , ٢٠٠٤.
- سليم حسن: مصر القديمة"عصر رعمسيس الثانى وقيام الإمبراطورية المصرية الثانية" , ج ٦, الهيئة المصرية العامة للكتاب , ١٩٩٢.

- ـــــــــــ: مصر القديمة "تاريخ السودان المقارن إلى أوائل عهد "بيعنخى" ,ج١٠, مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع , القاهرة , ١٩٩٨.
- ـــــــــــ: مصر القديمة , ج ٢, مكتبة الأسرة , ٢٠٠٥.
- صفاء عبد الرووف محمد: الأسرة الحادية والعشرين فى مصر القديمة "دراسة تاريخية حضارية", رسالة ماجستير غير منشورة , آداب- جامعة جنوب الوادي , ٢٠١٢.
- عادل السيد عبد العزيز محمد: *"دور قلعتى "سمنه" و "قمه" فى حماية الحدود المصرية الجنوبية فى عصر الدولة الوسطى"* , مؤتمر الفيوم الخامس بعنوان النيل ومصادر المياه فى مصر عبر العصور ٢-٤ أبريل , ٢٠٠٥م.
- عبد العزيز صالح: *الشرق الأدنى القديم في مصر والعراق*, ج ١, مكتبة دار الزمان.
- علا العجيزى: *"العقائد الدينية فى مصر القديمة"* , مجلة الجديد , عدد٦٩ , ١٩٧٤, ٤٦-٤٧.
- محمد مدحت جابر: *بعض جوانب جغرافية العمران فى مصر القديمة* , مكتبة نهضة الشروق جامعة القاهرة , ١٩٨٥.

- منال محمود محمد: الأمن والحراسة فى مصر القديمة من خلال الألقاب والوثائق حتى نهاية الدولة الحديثة , عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية, القاهرة , ٢٠١٥.
- ادلف إرمان هرمان ورانكه: *مصر والحياة المصرية القديمة فى العصور القديمة* , ت: عبد المنعم أبو بكر , محرم كمال , مكتبة النهضة المصرية , القاهرة, ١٩٥٢.
- ادلف إرمان: *ديانة مصر القديمة نشأتها وتطورها ونهايتها فى أربعة آلاف سنة* , ت: عبد المنعم أبو بكر , محمد أنور شكرى , مكتبة مدبولى , ١٩٩٥.
- ألفرد لوكاس: المواد والصناعات المصرية القديمة، ت: ذكى إسكندر ومحمد زكريا ، ط٢، المركز الفنى للتصوير الفوتغرافى، القاهرة ،١٩٤٥.
- بارتا ميروسلاف: رحلة إلى الخلود "مقابر الأفراد بالدولة القديمة" , ت: محمد مجاهد, كلية الآداب–جامعة تشارلز بيراغ , ٢٠١٣.
- باركنسون.ر.ب: أصوات من مصر القديمة "مقتطفات من كتابات الدولة الوسطى", ت: بدر رفاعى, دار سنابل للكتاب , القاهرة , ٢٠٠٩.

- بيير مونتيه: الحياة اليومية في مصر في عهد الراعامسة "من القرن الثالث عشر إلى القرن الثانى عشر قبل الميلاد" , ت: هزيز مرقس , الدار المصرية للتأليف والترجمة (مطبعة المعرفة) , القاهرة , ١٩٦٦.
- تشرنى ياروسلاف: الديانة المصرية القديمة , ت: أحمد قدرى , دار الشروق, ١٩٩٦.
- جورج هارت: الحضارة المصرية القديمة , ت: هالة حسانين , شركة نهضة مصر للطباعة والنشر , ٢٠٠٧, القاهرة.
- جيمس بيكى: الآثار المصرية فى وادى النيل , ت: لبيب حبشى وشفيق فريد ,ج١, ١٩٩٣.
- جيمس هنري برستد: سجلات تاريخية من مصر القديمة , المجلد الثانى الآسرة الثامنة عشر , ت: أحمد محمود , مراجعة جاب الله على جاب الله , دار سنابل للكتاب – القاهرة , ٢٠٠٩.
- جيميز.ت.ج: الحياة أيام الفراعنة "مشاهد من الحياة اليومية في مصر القديمة" , ت: أحمد زهير, الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة, ١٩٩٧.

- سيرج سونيرون: الكهان فى مصر القديمة , ت: زينب الكردي – مراجعة أحمد بدوي, الأهالي للطباعة والنشر– دمشق , ١٩٩٤.
- سيريل الدريد: الحضارة المصرية القديمة من عصور ما قبل التاريخ حتى نهاية الدولة القديمة , ت: مختار السويفى , الدار المصرية اللبنانية ,القاهرة , ط٣ , ١٩٩٦.
- فلندرز بترى: الحياة الاجتماعية فى مصر القديمة, ت: حسن محمد جوهر , عبد المنعم عبد الحليم , الهيئة المصرية العامة للكتاب , القاهرة, ١٩٧٥.
- كاشا شباكوفسكا: الحياة اليومية فى مصر القديمة اللاهون نموذجاً , ت: مصطفى قاسم ,المركز القومى للترجمة , ٢٠١٣.
- كلير لألويت: طيبة أو نشأة إمبراطورية ، ت: ماهر جويجاتى، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة, ٢٠٠٥.
- نيقولا جريمال: تاريخ مصر القديمة , ت: ماهر جوريجاتى, ط٢, دار الفكر , القاهرة , ١٩٩٣.
- هرسون جونيفييف و فالبيل دومينيك: الدولة والمؤسسات فى مصر من الفراعنة الأوائل إلى الأباطرة الرومان , ت: فؤاد الدهان , دار الفكر , القاهرة, ١٩٩٥.

- والترب امرئ: مصر فى العصر العتيق (الأسرتين الأولى والثانية) , ت: راشد محمد , محمد على كمال , نهضة مصر للطباعة والنشر, القاهرة , ٢٠٠٠.